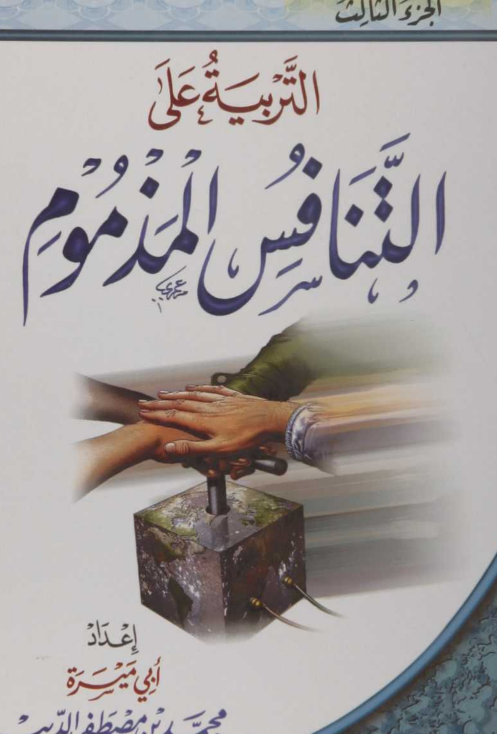
سلسلة التربية بعد التصفية من أخطاء المربين
الجزء الثالث

التربية على التنافس المذموم



إعداد
أبي ميسرة
محمد بن مصطفى الديب

دار الرضا للنشر والتوزيع



رقم الإيداع
٢٠٠٥/١٦٩٥٨

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م

الناشر
دار الرضا للنشر والتوزيع
عمارة الهدى ١٥ ش إمتداد رمسيس - مدينة نصر
٠٨٢٢٣٢٠٢٥٤ - ٣٤٢٨٨٢٩
محمول: ٠١٠١٤٦٠٨٦١



إهداء

● إلى الغرباء الصابرين القابضين على الجمار، المخلصين المتابعين لهدي النبوة والصحابة الأبرار، الداعين بالحكمة والموعظة الحسنة بلا اغترار.

«إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»

(حديث شريف).

المقدمة

إن الحمد للَّه نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾(٣).

أما بعد؛ فإن خيـــر الكـــلام كلام اللَّه، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد: لقد آل حالُ المسلمين في هذا الأوان إلى أسوإ ما ابْتُلُوا على مر العصور المتأخرة من ذُلٍّ واستعباد وقهر وتسلط واستخفاف بدمائهم قَبْلَ عقولهم من قِبَلِ أعداء الإسلام بسبب بُعْدِهِمْ عن كتاب ربهم - جَلَّ وَعَلَا - وسنة نبيهم - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وبتوالي الضربات وطول المعاناة استأنس بعضهم بتلك الأوضاع الْمُزْرِيَةِ، واستسلموا أفرادًا وجماعات لهزيمة نفسية جعلت بعضهم يقبل الاستكانة والمهانة ويتعايش معها، بل دعا بعضهم إليها عجزًا ووهنًا وخوفًا وانبهارًا بقوة أعداء الإسلام، وتجمدت معطيات التفكير، وخمدت الرغبات في البحث عن حلول، وسقطت الهمم، وتبلد الإحساس، وانعدمت الرغبة في التغيير خلا بعض المخلصين القابضين على الجمار يطلقون صيحات هنا وهناك

(١) آل عمران: ١٠٢.
(٢) النساء: ١.
(٣) الأحزاب: ٧٠- ٧١.

أملًا في إيقاظ الغافلين النائمين على الأشواك، المستأنسين بالآلام، ولكن مهما طال الزمان وتعطلت الأفهام وَعَلَا غطيط النيام فلا بد من فجر يتبع ذلك الظلام، ومهما كثرت المعوقات فلن تتبدل سنن العزيز العلام القائل في محكم التنزيل: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾.

لكن لا بد من العمل والإخلاص وَشَحْذِ الْهِمَم والأخذِ بالأسباب مصداقَ قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، وقوله ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾.

وإيمانًا مني بقوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ آثَرْتُ إلا أن أَبْذُلَ الجهدَ تعاونًا على البر والتقوى مع من يأملون التغيير، واعتقادًا بأن تغير الحال لا بد أن يسبقه تغير النفوس وتربية الذوات حَرَّرْتُ هذا الجهد حَلَقَةً في سلسلة التربية بعد التصفية امتدادًا لدعوة إصلاحية بدأها العلامةُ المجددُ الإمامُ محمد ناصر الدين الألباني ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ بَيَّنَ فيها منهجَ الحق الذي يجب أن يكون عليه جميع المسلمين، جَمَعَهَا في كلمتين «التصفية والتربية»، وقد عاش عمره كله سائرًا على هذا المنهج يصفِّي العقيدة مما شابها من العقائد الباطلة والمعتقدات الفاسدة والخرافات المنتشرة والشركيات المتغلغلة، ويصفِّي السُّنَّة مما أُدخل فيها بِتَمْيِيزِ الصحيح من الحسن من الضعيف من الموضوع مما لا أصل له، ويصفِّي الفقه مما شابه من الآراء والمحدثات المخالفة للنصوص الصريحة، ثم أخذ يربي نفسه ومن حوله على حُسن الاتباع وَخُلُقِ الاقتداء بسنة سيد ولد آدم ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ، فقطع شوطًا طويلًا مباركًا، ووجد رواجًا لذلك المنهج في الدعوة إلى دين اللَّه ـ جَلَّ وَعَلَا ـ، كل ذلك كان سعيًا منه ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ لتغيير ما فسد من أوضاع المسلمين، وعندما تَوَفَّاهُ اللَّهُ تمنيت لو أنيِّ أشارك في تلك الدعوة بما أستطيع لعل اللَّه يعينني بوضع بذرة في أرض التغيير أملًا ورجاءً مني لربِّي أن ينزل عليها ماءً مباركًا فتنبت وتربو وتؤتي أكلها بإذن ربها ـ وليس على اللَّه بعزيز.

ولما كانت مُسْتَقْبِلَات التغيير ثلاثةٌ وهي الطفل والأسرة والمجتمع، فعلى مستوى المجتمع

يكون تغييرًا شموليًا لكل ما فسد من أوضاعه، والإعراض عن التغيير الشمولي قد يسبب العقاب الجماعي كما سبق، ومما مرت به الأمم التي عذبها اللَّه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ بسبب العصيان الجماعي عذابًا جماعيًا مثل قوم عاد وثمود وفرعون، قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾[1].

وهذا التغيير الجماعي يلزمه توبةٌ جماعيةٌ عن المعاصي الجماعية التي تقترف في كثير من بلاد المسلمين، والتي أدت إلى ابتلائهم بالذلة وَالصَّغَارِ وتسلط الأعداء عليهم رغم كثرتهم، ومن تلك المعاصي الجماعية: الربا، والغناء، والشركيات؛ كالطواف بالقبور، ودعاء غير اللَّه ـ جَلَّ وَعَلَا ـ، والاستغاثة بغيره... وغيرها، ولا مفر لنا إلا بالرجوع إلى كتاب ربنا وسنة نبينا، قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

ومن أمثلة التوبة الجماعية: توبةُ قومِ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من عبادة العجل، وتوبة قوم يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وأما التغيير على مستوى الأسرة والأفراد فهذا الذي اخترت المشاركة فيه والسعي من أجله، وهو يؤدي بمرور الزمن وَالْمُثَابَرَةِ إلى التغيير الجماعي ـ إن أمهلنا اللَّه ـ سُبْحَانَهُ ـ حتى حدوثه ـ؛ لأن الطفلَ والفرد وَحْدَهُ بناءُ الأسرة، والأسرة وحدة بناء المجتمع، ومن هذا المنطلق جاءت تلك السلسلة المسماة «سلسة التربية بعد التصفية»، وهي محاولات لحصر أخطاء المربين في تربية الطفل المسلم، ومنها ننتقل للتربية الذاتية لكل مربٍ بإصلاح ما فسد من أوضاعه حتى يكون قدوة صالحة لمن يربي؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه، ولأن سلوك المربي يؤثر على سلوك الطفل لا محالة، فإذا ترعرع هؤلاء الأطفال في ظل تربية إسلامية صحيحة كَوَّنُوا لنا مجتمعًا مباركًا مؤهلًا للخلافة.

ولما كان التنافس سلوكًا جاريًا في مجتمعات المسلمين، ومنه الصحيح ومنه السقيم، ومنه الحميد ومنه الذميم، جمعت جهد المقلِّ لمعالجة هذا الموضوع.

(١) النحل: ١١٢.

وها هو الجزء الثالث من «من أخطاء المربين» سَمَّيْتُهُ «تربية الطفل على التنافس المذوم» وهو أحد أخطاء المربين محذرًا إخوتي وداعيًا ربي المولى الكريم أن يكتب لها القبول، وأن يصلح النوايا ويجعلها ذخرًا لي يوم يقوم الأشهاد، وأن يوفقني لاستكمالها، وأن ينفع بها إخواني المربين، وقد ذكرتُ في هذا الجزء الخطأَ الحادثَ بتربية الطفل على التنافس المذموم مُعَرِّفًا التنافسَ، ثم مُوَضِّحًا أنواعه، ومظاهره، وفوائده، ومساوئه، وأثره على الفرد والمجتمع، والفهوم الخاطئة فيه، وأسبابه، وعلاجه، وقد طَعَّمْتُهُ بكيفية تربية الطفل على كل من نوعي التنافس المحمود منه والمذموم، كما أنني اجتهدت لتبصير إخواني المربين لما فسد من أحوالنا في مجال التنافس أملًا في التربية الذاتية جنبًا إلى جنب مع تربية أجيال المستقبل وعُدَّتِهِ وعَتَادِهِ، بل هم مجتمعاتُ الغد المنتظر القريب، والله الموفق والمعين إلى صلاح القصد وصحة السبيل.

أعده

أبو ميسرة محمد الديب

انهيته في

السبت السابع من رمضان سنة ١٤٢٤

سنة أربع وعشرين وأربع مئة وألف للهجرة.

تربية الطفل على التنافس المذموم

❑ تعريف التنافس:

«نافس في الشيء منافسة ونفاسًا ـ بالكسر ـ إذا رغب فيه على وجه المباراة في الكرم، وتنافسوا فيه؛ أي: رغبوا»[١].

التنافس: التباري في الشيء من غير إلحاق الضرر بالمتنافس[٢].

❑ أنواع التنافس:

وللتنافس نوعان رئيسيان؛ هما: التنافس المذموم، والتنافس المحمود.

❑ أولًا: التنافس المذموم:

فيكون في الدنيا ومن أجْلِهَا دون النظر إلى الآخرة أو اعتبارها، قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾[٣].

وقال ـ جَلَّ شَأْنُهُ ـ:

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾[٤].

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ؛ فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي

(١) مختار الصحاح.
(٢) لسان العرب (٦/٢٣٨).
(٣) الحديد: ٢٠.
(٤) الكهف: ٣٢ـ ٣٤.

أَخْشَى أَنْ تُبسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺعَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ»(٢).

أما التنافس الذي يحدث في أمور الدنيا من أجل نفع المسلمين... مثل التنافس في الابتكارات العلمية، أو إثراء اقتصادهم، أو تدعيم قوتهم في صناعة الأسلحة المتطورة وغيره فذلك يعتبر تنافس محمودٌ؛ لتعلقه بالآخرة من وجه، لكن المذموم هو التنافس الدنيوي البحت العاري عن التفكير في الآخرة، وطرحها من اعتبار المتنافس.

وكذلك التنافس بين الطلاب بالمدارس أو الجامعات في طلب العلم الشرعي وغير الشرعي؛ مثل الهندسة والفيزياء وغيرها، فهذا يتوقع أن ينتفع به المسلمون؛ ولذلك لا بأس من تزكية ذلك النوع من التنافس؛ لإمداد الأمة بثروة بشرية قادرة على تحمل أعباء المسئولية في رفعة الأمة وقيادتها إلى مراتب الاستخلاف، قال ـ تَعَالَى ـ ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾(٣).

❑ ثانيًا: التنافس المحمود:

وهو الذي يكون فيه التباري والتسابق في أمور الآخرة بأي نوع من أنواع العبادات، قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾(٤).

وقال ـ تَعَالَى ـ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾(٥).

---

(١) متفق عليه: البخاري (٤٠١٥)، ومسلم (٢٩٦١).

(٢) رواه البخاري (٢٨٨٧).

(٣) القصص: ٧٧.

(٤) الحديد: ٢١.

(٥) المؤمنون: ٦١.

وقال ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾[(١)]

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ»[(٢)].

عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ: حَدَّثَنَا قَيْسٌ قَالَ: سَمِعْتُ مُسْتَوْرِدًا أَخَا بَنِي فِهْرٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ ـ وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَّابَةِ ـ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟**»[(٣)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ**»[(٤)].

وأمثلة ذلك النوع المحمود من التنافس ما حدث بين أبي بكر وعمر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ في الصدقة.

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ قَال: «سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالًا، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ، إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا. قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟**» قُلْتُ: مِثْلَهُ. وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟**» قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. قُلْتُ: وَاللَّهِ، لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا»[(٥)].

ومنه التنافس على الجهاد بين رافع بن خديج وسمرة بن جندب، واستهام الصحابة على الأذان.

---

(١) طه: ١٣١.

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٧٩٥)، ومسلم (١٨٠٥).

(٣) رواه مسلم (٢٨٥٨).

(٤) رواه مسلم (٢٩٥٦).

(٥) رواه الترمذي (٣٦٧٥)، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

□ مظاهر التنافس المذموم:

١- من مظاهر التنافس المذموم:

التنافس في الطعام والشراب

التنافس في اقتناء أجاويد الأطعمة والمشروبات وزيادة كمياتها والتباهي بذلك والتباري فيه حتى يتحدث الناس به كما يحدث في الأفراح والعزائم، وقد حُكِي أن أحد الأغنياء أراد إكرام أحد الوجهاء فَتَعَاقَدَ مع بعض المطابخ الشهيرة أن يجهزوا له أعجب ما سمعت عنه من موائد الأغنياء، فماذا أحضر هذا الغني لضيفه على مائدته؟.

أحضر جملًا صغيرًا بداخله خروف، وبداخل الخروف دجاجة، وبداخل الدجاجة بيضة حتى صار الناس يتندرون ويتسامرون بحكاية تلك العزيمة حتى يومنا هذا.

وهذا أحد الصالحين دَعَا وجيهًا من الطيبين إلى مائدة عليها سمكة واحدة ضخمة طويلة وحولها السلطات والأصناف الداعمة لتلك المائدة، ولا شك أن الكرم فنون وسجية سخية كريمة تنبئ عن أصل رفيع المستوى وهي عراقة في الأصالة عند العرب، لكن ينبغي أن ينضبط ذلك الكرم بضوابطه الشرعية التي تكبح جِمَاحَهُ حتى لا يخرج عن دائرة الكرم إلى حقل الإسراف المذموم.

ومن رحمة العلي الرزاق أن جعل من الطعام ما يناسب الفقراءَ ويسد جوعتهم، وما يناسب الأغنياء ويسد خلتهم، لكن لا ينبغي للمسلم أن يصنع طعامًا يزيد عن حاجة ضيوفه أضعافًا حتى لا يضطر إلى إلقائه في سلة المهملات؛ لأن من شُكْر النعمة وحفظها من الزوال حُسن صرفها في طاعة اللَّه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ، فقد يثاب المرء على حفظه لنعم اللَّه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ بزيادتها له والبركة له فيها، وقد يعاقب بحرمانها إذا أهدرها وأساء استغلالها في غير طاعة اللَّه ـ جَلَّ وَعَلَا ـ.

قال ـ تَعَالَى ـ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾[1].

(١) إبراهيم: ٧.

كما أن تربية الطفل على احتلال الطعام والشراب حَيِّزًا واسعًا من حقل اهتماماته يورثه البطنة، ويقوي شهوة البطن عنده؛ فيختل توازنه، ويزداد وزنه، وتتعرقل حركته، ويتملكه الشَّرَهُ وَالنَّهَمُ، وحب الطعام والطمع فيه والتطلع إليه بأيدي غيره أو على مائدة غيره، ويسيطر عليه الكسل.

عَنْ مِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ»**(١).

قال ابن قدامة ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في «منهاج القاصدين» فصل رياضة الصبيان: «فأول ما يغلب عليه من الصفات شَرَهُ الطعام، فينبغي أن يعلم آداب الأكل، ويعوده أكل الخبز وحده في بعض الأوقات؛ لئلا يألف الإدام فيراه كالحتم، ويُقَبِّحُ عنده كثرة الأكل بأن يُشَبِّه كثير الأكل بالبهائم...»(٢).

قلت: من آداب الأكل التسمية بعد غسل اليدين، والأكل باليمين، ومن أمامه، وألا يملأ فَمَهُ بالطعام، وأن يمضغ جيدًا ولا يبلع قبل المضغ، وألا يقرن بين تمرتين إلا بإذن من يأكل معه، وألا يعيب طعامًا، فإن اشتهاه أكله وإن عَافَهُ تَرَكَهُ، وألا يتكلم وَبِفَمِهِ طعام، وألا يحدق النظر في الطعام أو فيمن يأكلون، وألا يصدر أصواتًا أثناء الأكل؛ كضرب الملعقة بالطبق، أو التَّجَشُّؤ أثناء الطعام، وألا يلقم إصبعه أنفه أثناء الأكل، ويحمد اللَّه في نهاية الطعام، وإذا نسي التسمية أثناء الأكل يقول: بسم اللَّه أوله وآخره. ثم الدعاء لمن صنع الطعام أو من أحضره، وهذا مذكور بتفصيل أكثر مع أدلته في كتاب «أخطاء المربين» «الجزء الأول» لأبي ميسرة محمد بن مصطفى الديب.

وقدوتنا رسول اللَّه ﷺ فما شبع مرتين متتاليتين من طعام.

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: أَلَسْتُمْ فِي طَعَامٍ وَشَرَابٍ مَا شِئْتُمْ؟ لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ وَمَا

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٨٠)، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٢) مختصر منهاج القاصدين ص١٦٤ المكتبة العصرية ط ١٤٢٣هـ

يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ»(١)

٢- ومن مظاهر التنافس المذموم:

التنافس في اللباس

التنافس في اقتناء وارتداء الملابس الباهظة التكاليف والتفاخر بذكر أسعار تلك الملابس، والتفاخر باقتنائها، فهذا مصنوع في أوربا، وهذا مطرز بالذهب، وآخر بفصوص الياقوت والماس والألماظ، وغير ذلك من مظاهر الترف والبذخ والإسراف والتبذير(٢).

ومن أعجب ما سمعت هو عن ذلك المنديل القماش المستعمل الخاص بإحدى مشاهير المطربات، والذي اشتراه أحدُ الأغنياء بعدة ملايين، وإن الجنون فنون كما يقولون.

وقد حدثني ذات مرة أحد طلاب العلم وكان يدرس وقتها بإحدى الجامعات العربية؛ حيث يعد رسالة الماجستير في أحد فروع علم الحديث، يقول هذا الرجل: إنه اشترى السبحة التي كانت في يده بمبلغ يفوق الألف جنيه مصري عام ١٩٨٩م، فتعجبت، فقال: لا تعجب، إن فصوصها مستوردة. فقلت: هل تدفن تلك معك لكي تشهد لك بالتسبيحات؟! ولا عجب فقد اكتشفت فيما بعد أنه مبتلى بالتصوف البدعي - رغم دراسته لحديث المصطفى ﷺ القائل: «**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**».

وغالب هذا النوع من التنافس بالملابس والمقتنيات ينتشر بين النساء اللاتي غزا المغرضون عقولهن وقلوبهن فأطفئوا نور الحياء من قلوبهن، وغيَّبوه عن سلوكهن؛ فأقاموا التنافس على أَشُدِّه في التكشف زحفًا وراء الموضة والأزياء؛ فاستشرفهن الشيطان لكي يخلبن ألباب الرجال ويفسدن قلوبهم ويأسرن أنظارهم؛ فضللن وأضللن، واستحوذن على اللعن بسبب تنافسهن في ضرب الأرقام القياسية في كسب السيئات باسم الموضة والأزياء والتحضر

(١) رواه مسلم (٢٩٧٧)، وَالدَّقَلُ: رديء التمر.

(٢) عن معاذ بن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: من ترك اللباس تواضعًا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها» رواه الترمذي وقال حديث حسن (ت ٢٤٨٣)

والرقي والرومانسية والانسيابية، وغيرها من المصطلحات الشيطانية التي أتت وستظل تأتي على الأخضر واليابس ما بَقِيَتْ وَبَقِين إلى قيام الساعة، ثم توفَّي كل نفس بما كسبت.

وقد غزت الموضة عقول بعض الرجال؛ فتسابقوا إلى اقتناء كل ما هو حديث من ملابس وأحذية وربطات عنق وقبعات وَقَصَّات لا تعرف تمييزًا بين رجل وامرأة، فالكل سواء تحت سقف الموضة والتشبه والتقليد، فانتكست بعض الفِطَر، وتميع السلوك، وتشابهت القوالب فَحَارَ الحليم فِيمَنْ يُوَاجِهُ أَرَجُلٌ أم رَجُلَةٌ أم صَبِيٌّ أم صبية؟!.

والأسى كل الأسى على ذاك الطفل الصغير وتلك الطفلة النقية، وكل منهما يعاني من سلوكيات القدوة السيئة، وتسيب بعض مربيه، وإعلامٌ يُرَبِّيه وما زال عوده غَضٌّ طَرِيٌّ يتشكل بيد من يثنيه، فهذا بأخلاق النصارى يبتليه، وذاك بغزو اليهود يغذِّيه وبملابس كلاهما يغطيه، وبسلوكهما يرويه، وماذا ننتظر ممن ضاعوا في متاهات التغريب؟! بل هل فاقد الشيء يعطيه؟! فإذا كان المربي يزحف وراء الموضة ولا يميز بين ملابس الرجال وملابس النساء، ولا يعرف الفرق بين قَصَّات الرجال وَقَصَّات النساء، فطفله وصبيُّه سيكون نسخة طبق الأصل تنشأ على ذات السلوك ونفس الفهوم.

وإذا كانت البنت أو الصبيَّة ترى أمها تلهث وراء الموضة وتسبح في بحر الأزياء لا تميز بين قَصَّات الرجال وَقَصَّات النساء، تزاحم الرجال في كل المجالات، وتضيق عليهم الطرقات، ووطأت بقدميها الحياء والستر والعفاف، مائلة مميلة خاضعة بالقول تمازح الرجال، مصبوغ وجهها بمساحيق شتى؛ فلا شك أن تلك الصَّبِيَّة ستُبْتَلَى بما تربَّت عليه، وما رَأَتْ صَبَاحَ مَسَاءَ من فساد السلوك والألباب، وستتغير فطرتها، وسيعاني حياؤها من الغياب، وأخلاقها من الفساد، بل سيضطرب ميزان الأمور، وستفقد القدرة على التمييز بين الْهُدَى والضلال، وبين الحق والباطل، وبين القبيح والجميل وبين الظلام والنور.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ...»**[1].

(١) متفق عليه: البخاري (١٣٥٩)، ومسلم (٢٦٥٨).

قال ابن قدامة المقدسي - رَحِمَهُ اللَّهُ - في «منهاج القاصدين»: «اعلم أن الصبي أمانة عند والديه، وقلبه جوهرة ساذجة، وهي قابلة لكل نقش، فإن عُوِّد الخير نشأ عليه وشاركه أَبَوَاهُ وَمُؤَدِّبُهُ في ثوابه، وإن عوِّد الشرَّ نشأ عليه وكان الوزر في عنق وليه، فينبغي أن يصونه ويؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من قرناء السوء، ولا يعوده التنعم، ولا يحبب إليه أسباب الزينة وأسباب الرفاهية؛ فيضيع عمره في طلبها إن كبر، بل ينبغي أن يراقبه من أول عمره، فلا يستعمل في رضاعه وحضانته إلا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال، فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، فإذا بدت فيه مخايل التمييز وأولها الحياء، وذلك علامة النجابة وهي مبشرة بكمال العقل عند البلوغ، فهذا يستعان على تأديبه بحيائه»[1]. انتهى كلامه - رَحِمَهُ اللَّهُ.

قلت: سبحان اللَّه، لقد رأينا بعض الناس يفخرون بسوء أدب أولادهم وضياع حيائهم بدعوى أنه كَبِرَ وصار رجلًا قوي الشخصية، وبعضهم يستنكر على طفله أو صبيه الحياء الممدوح، ويشجعه على البذاءة والوقاحة والتطاول على الكبار، وهذا يدل على فساد في الفهم والتصور. ثم قال - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «ولا يمنع النوم ليلًا، ولكنه يمنع الفرش الوطيئة؛ لتصلب أعضاؤه، ويتعود الخشونة في المفرش والملبس والمطعم...»[2].

قلت: وأين الذين يربون أولادهم على السهر من أجل السمر والحفلات والمسلسلات، فإذا اقترب الفجر ناموا حتى بعد الظهر؟ فهل هذا السلوك يوافق الفطرة؟ وهل هذا النظام يوافق ما أراد اللَّه لنا في حياتنا؟ وهل هذا يوافق الهدف الذي خُلِقنا من أجله؟ بل هل ينبغي أن نُجْبِر أولادنا على اختلال في حياتنا اخترناه بإرادتنا؟.

وقال ابن قدامة المقدسي - رَحِمَهُ اللَّهُ - أيضًا: «... ويُمْنَع أن يفتخر على أقرانه بشيء مما يملكه أبواه، أو بمطعمه أو ملبسه...»[3].

(١) ص١٦٣-١٦٤ مختصر منهاج القاصدين.

(٢) نفس المصدر ص١٦٤.

(٣) نفس المصدر ص١٦٤.

قلت: لعل المربي إذا اتبع هذه الإشارات أن يقطع الطريق على مسلك السخرية من الآخرين عند الطفل، وكذا مسلك العجب والكبر، بل وبه يفسح المجال لنشأته على التواضع واحترام مشاعر الآخرين، وكذلك ينبغي أن يعلمه أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، وأن المنعم المتفضل ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ فَضَّلَ الناس بعضهم على بعض في الرزق حتى يتوازن الكون ويتحقق السعي في طلب الرزق؛ فيدعو الفقير ربه الرزاق، ويشكره الغنى، فمن أحسن صَرْفَ النعمة في طاعة الله ـ جَلَّ وَعَلَا ـ فذلك شُكْرها والسبيل إلى دوامها وزيادتها، أما صرفها في غير رضاه ـ سُبْحَانَهُ ـ بالفخر والاستعلاء على الناس فذلك يورث المرء انقطاع النعمة وزوالها أو نقصها، وبالتالي يترسخ في اعتقاد طِفْلِهِ أن الفخر ليس له مُسَوِّغ وأن التنافس على الدنيا ليس محمودًا، فإذا أكد على هذا المفهوم بقصة «قارون»، الذي فخر واستكبر بنعمة الله عليه، وارتفع فوق الناس وتشامخ قائلًا: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾؛ فخسف الله به وبداره الأرض ـ اسْتَقَرَّ التواضع في سلوك الصبي، وَامْتَنَعَ الفخر على الأقران من سلوكه، قال ـ تعالَى ـ: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ

نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[١]

٣- ومن مظاهر التنافس المذموم:

التنافس في البنيان أو في المسكن:

وقد ورد في حديث عمر ﷺ ضمن بعض علامات الساعة أو أماراتها.

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ... قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ. قَالَ: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ!!**» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ...**»[٢].

وقد اعتبر أهل العلم أن التطاول في البنيان من علامات الساعة مثل ما نرى الآن من ناطحات السحاب، وهذا واقع ملموس في بلاد المسلمين وغيرهم من الكافرين، وقد ذهب بعض المسلمين إلى التنافس في تزيين مسكنه بديكورات وأدوات مستوردة والتباهي بذلك، والتفاخر بطريقة تفسد قلوب بعضهم على البعض؛ فيشيع الحسد والحقد، وتهدر الأموال في مظهريات جوفاء وكماليات وديكورات، فهذا رَكَّبَ صنابير بالحمام مستوردة من أوربا، واستورد البلاط من خارج البلاد حتى صارت بيوت الشياطين - الْحَمَّامَات - مزخرفة ومزينة وبها العطور والفرش الثمين والتكييف للْهواء، وكأن الساكن سيقضي بقية عمره بالحمام، وذلك من تلبيس إبليس، بل صار بعض المسلمين يعيب على من لم يغير أثاث بيته كل عام، إضافة إلى تغطية الجدران - الْمَنْهِيِّ عَنْهُ - بأنواع من الديكورات والأقمشة والستائر المبالغ في عرضها من الجدار إلى الآخر، ولا بأس أن يسعد المرء ويتنعم بما مَنَّ اللَّه - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - عليه من نعم، وأن يوسع على نفسه وعلى أهله، لكن لا ينبغي أن نبالغ في الزينة، واختيار النوعيات بطريقة تنبئ عن الإسراف وتوحي بالتفاخر، ولِسَانُ حَالِنَا يقول:

(١) القصص: ٧٦- ٨٣.

(٢) رواه مسلم (٨).

ليس عند أحد مثل ما عندنا، هذا من فرنسا، وذاك من ألمانيا، وتلك من سويسرا. فنجوب ونتجول في قارات العالم من أجل تزيين المسكن، وقد نموت قبل أن يكتمل البناء، أو قد نفسد حياتنا بسبب مطاردة عيون الحاسدين أو ملاحقه الدائنين المطالبين بحقوقهم؛ فلا نستمتع بما اشترينا بأموال غيرنا أو أموالنا، أو قد نقضي أيامنا بل أعوامنا في البحث عن علاج لعيون شمِّيَّةٍ أصابتنا بسبب مخالفتنا لشرع ربنا، قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

التنافس في المركب

٤ـ ومن مظاهر التنافس المذموم: التنافس في المركَب واستعراض أنواع السيارات الحديثة والتباري في اقتناء أكبر عدد ممكن لكل أسرة، فتلك سيارة للسفر بالعائلة والسياحة، وأخرى شاحنة لنقل الأمتعة والأطعمة وبعض الأثاث عند شرائه إذا دعت الحاجة، وثالثة لتوصيل الأطفال للمدارس، ورابعة خاصة برب الأسرة، وفي بعض الأسر لكل فرد سيارة... حتى صار بين بعض الجيران خلافٌ على أماكن وضع السيارات، وبعيني رأيت أحدَ الوجهاء يأمر جاره بتحريك سيارته من مكانها حتى يضع ذلك الْوَجِيهُ سيارتَه مكانها قائلًا له: ماذا نفعل؟ عندنا سبع سيارات والمكان لا يكفي، فلا تضع سيارتك هنا مرة ثانية!!.

هذا من جانب العدد، أما من جانب التجديد فهو نوع آخر من التسابق والتباري، فقد يتحرج البعض من عدم تغيير سيارته كل عام أو عامين أو ثلاثة، والثلاثة عندهم كثير في عرف التغيير .. نعم .. لقد استقر في مفهومنا ضرورة اقتناء كل حديث حتى أصبحنا أممًا مستهلكة، وأصبحت بلادنا أسواقًا لتصريف منتجات الدول الصناعية الكافرة في جميع المجالات، والمال يخرج من الخزائن فلا يعود، وعلى أساس النظرة المستقبلية نجد أنفسنا نسير بخطى ثابتة وأكيدة بل سريعة إلى الخواء والفقر؛ لأن القِدْر لن يظل ممتلئًا في ظل سحب مستمر، ومن هنا وجب على المخلصين من أبناء الأمم المسلمة أن يعالجوا تلك القضية بتطوير الصناعات واستحداث مصادر جديدة للدخل حتى ترجع دورة رأس المال إلى الوضع

المناسب المبشر بالخير لمستقبل المسلمين، ونقطة البداية - من إعداد الكوادر البشرية المؤمنة المخلصة عالية الهمة الحريصة على رفع شأن المسلمين ونصرة هذا الدين - وَلْيَكُن هذا الطفل الصغير؛ بتطوير مناهج التعليم لما يرضي الله ورسوله، وتفعيلُ العملية التعليمية لتنمية قدرات ومواهب ومهارات الطلاب، وتدريبهم على عمليات عقلية عُلْيَا في جميع المجالات اللازمة لإعداد الكوادر البشرية التي تتحمل مسئولية قيادة الأمة في جميع مجالات الحياة؛ من طب وهندسة وفيزياء وكيمياء ورياضيات وصناعة وتجارة وزراعة وغيرها، والقاسم المشترك في كل كادر ينبغي أن يكون نابعًا من التربية على الاعتقاد الصحيح، والفهم الصحيح، والسلوك الراقي، والأخلاق السامية المستقاة من كتاب ربنا وسنة نبينا، فقد قال - تَعَالَى -: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، فلما لا نعود إلى أصولنا حتى يعود إلينا توفيق ربنا التَّابِع من رضاه - سُبْحَانَهُ - عنا؟ فتعود إلينا الخيرية بعد انكشاف سحب الذل والهوان عنا!!

ولماذا لا نعتدل في استهلاكنا، ونتجنب الإسراف والإهدار؟

ولماذا نتغافل عن حالنا ونربي أطفالنا على مثل ما اعتدناه من سلوكيات سلبية مدمرة لثرواتنا على المدى البعيد؟

لماذا نستهلك الماء بغير حساب، والكهرباء بغير تعقل، والبنزين بغير اهتمام، والملابس بغير عدد، والطعام بغير فطنة، والأدوات المدرسية بغير وعي... إلخ؟

لماذا لا نربي أولادنا على الاقتصاد في الاستهلاك؟ ليس في ذلك عيب ولا نقيصة، وليس هو مظهر من مظاهر الفقر والحاجة، بل هو صيانة لنعم الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -.

أم إن أفهامنا استقر فيها أن الاقتصاد في الاستهلاك من خصائص الفقراء؟!!

لماذا نؤجل استخدام عقولنا في كثير من أمور حياتنا؟.. نعم هذا واقع أليم..

فنحن نترك تربية أولادنا للظروف فتربيهم وسائل الإعلام والمجلات والقصص والأفلام والمسلسلات وقرناء السوء.

ونحن نترك لأنفسنا الحبل على الغارب في استهلاكنا واستهلاك أولادنا، ولا نهتم إلا بشراء ما نفذ من احتياجاتنا، وقد قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾(١).

وقال أيضًا: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾(٢)

ونحن نترك أوقاتنا تضيع سدى بين اللَّهو والسمر، والهواتف الثابتة والنقالة ـ السيارة ـ، والاختلاط غير المقنن، ولا نأخذ من أوقاتنا شيئًا لأنفسنا، بل هي مشاع تنظمها الظروف والناس واللَّهو والاختلاط والاجتماعات واللقاءات والشبكات المعلوماتية وخاصة صفحة الدردشة، ومتابعة الشائعات والأراجيف وما يسمى «البلاي استيشن»، ناهيك عن البلايا الأخرى.

الأعداء يتربصون بنا ويقفون على أبوابنا، ونحن بالداخل نلعب ونأكل وننام بلا اكتراث، لماذا نترك مفاتيح السيارات لأطفال لم يبلغوا سنَّ التكليف، أو لم بلغوا سن التكليف ولم يربوا على تقدير المسئولية ولم يفهموا معنى حفظ النعمة وحفظ مشاعر الآخرين، بل وأرواحهم وأموالهم؟

لماذا نتسبب في قتل أبنائنا وأبناء غيرنا بإهمالنا وغياب الحزم من حياتنا؟

ولماذا نتسبب في إفساد أموالنا وأموال غيرنا؟

لماذا لا نأخذ على أيدي العابثين من أبنائنا؟

إن الأمر يحتاج إلى وقفة من كل مربٍّ، ولحظة صدق مع النفس ومحاسبة لها، فليس معقولًا أن نرى الموت بأعيننا كل يوم بسبب رعونة بعض الصبيان، أو كبار يحملون عقول صبيان وفهوم صبيان وسلوك صبيان.. حوادث كثيرة وغالبها خطيرة.. أرواح تهلك وأموال تهدر واعتداءات على حقوق الناس في الأمان والسير، ونحن نكتفي بتمطيط

(١) الأعراف: ٣١

(٢) طه: ٨١.

الشفاه والحوقلة وهزّ الرءوس والشجب والاستنكار.

إن هذا الطفل الذي يربى على التسيب واللامبالاة والجرأة المذمومة سيصير مِعْوَلَ هدم إذا نشأ على تلك السلوكيات وسَيُعَلِّمُ غيره، فلا يخفى علينا أن الأطفال يربي بعضهم بعضًا أحيانًا في ظل غفلة المربين.

وكذلك أفلام سباق السيارات لها أثر كبير على المراهقين المولعين بالمغامرات وكسر قيود أي أنظمة، المعتنقين لمبدإ «خالف تُعرف»، وهو مبدأ هابط يترتب عليه نشوذ وشذوذ من أجل جذب الأنظار حتى لو كان الثمن حياة المخالف أو حياة غيره، فإن مثل هذا يَطْرَحُ العقل والرزانة والحفاظ على الأرواح أو الأموال خارجَ دائرة التفكير، وهو لا يرى من التصور إلا نفسه، والأنظار المبهورة بفعله الغريب، وقد حكى لي أحدُ الجيران أنه رأى شابًا يدور حول نفسه بسيارة جديدة أحدث الموديلات بسرعة جعلت الدخان يخرج من العجلات بفعل حرارة الاحتكاك بالأرض؛ فنصحه ذلك الجارُ أن يحافظ على العجلات الجديدة مُقِرًا بمهارته في القيادة؛ فردَّ الشاب المستهتر بقوله: «لا تشغل بالك، فإن البنشر ـ محل بيع العَجَلِ ـ مليان، والبنك مليان»، قلت: «الحق على بابا».

٥ـ ومن مظاهر التنافس المذموم:

صُوَرٌ من التنافس الرياضي

التنافس الرياضي بصورته الحادثة في واقعنا الحالي، فالرياضة ليست غاية ولكنها وسيلة لتقوية البدن والترويح عن النفس، وجانب من جوانب تفريغ طاقات الشباب، فلماذا جعلناها غاية تتعلق بها قلوب بعضنا، وتحتل النصيب الأعظم من مساحة اهتمامات شعوبنا المسلمة، بل جعلناها قضية وطنية أحيانًا عندما يتبارى المنتخب من إحدى البلاد مع منتخب دولة أخرى مسلمة، وصرنا نشحذ الهمم، ونكثف الدعايات الإعلانية والبرامج الحوارية الرياضية، ونملأ الصحف بتصاوير الرياضيين وقصص حياتهم، وننشغل بالنتائج المتوقعة، ونراهن على الفوز لأحد الفريقين، فبدلًا من لقاء كروي في ملعب صار لقاءً مشحونًا بين شعبين أو أمتين مسلمتين، وفي ظل تلك الاهتمامات أين محل قضايانا

المصيرية وما مساحتها في حقل اهتماماتنا؟! وليس الأمر قاصرًا على اللعب بالكرة، فالحقل مزدحم باهتمامات كثيرة ليس للقضايا المصيرية مكانًا بينها.

ولا ينبغي أن نتغافل عن حتمية تربية شبابنا وأطفالنا على تلك الاهتمامات وتلك الفهوم رضينا أم أبينا قصدنا أم غفلنا، فهذا لاعب يرتدي سروالًا قصيرًا يكشف فخذيه أمام ناظريه من أطفال وصبيان وشباب وبنات ونساء الأمة المسلمة المحتشدة المستنفرة أمام شاشات التلفاز وفي الملاعب لمشاهدة المباراة المصيرية، في ظل عواطف ومشاعر وهتافات والتهابات بالأعصاب، وتوتر وتسارع في ضربات القلوب عند اقتراب الخصم من مرمى فريق المشاهد، وإذا أخفق اللاعب في إحراز الهدف انهالت عليه أنواع السباب والشتائم واللعنات المحرمة ـ له ولوالديه من الأمة المسلمة المشجعة لمنتخب بلدها ـ، وفي نفس اللحظة يَطَّلِعُ ربنا على عِبَادِهِ المسلمين المنصرفين عن الخيرية التي أرادها لهم يشربون من مَائِهِ ويأكلون من نِعَمِهِ ويعصونه بألوان زَلَّات الألسن، وصرف مشاعرهم في غير طاعته، وحواسهم في معصيته وهو القائل ـ جَلَّ شَأْنُهُ ـ: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ وفي نهاية المباراة يُرفع الكأس فوق الرءوس بينما نزل المصحف بين الرفوف لا يُدرى عنه الكثير من معان وآيات وأحكام وأوامر ونواهي، بل حتى اغترب وغاب عن الكثيرين ضبط الحروف.

يا قومي انتبهوا!!.. ما لي أراكم نيامًا في بُلَهْنيةٍ وقد ترون شهاب الحرب قد سطعا.

أما آن لنا أن نصحو.. أما آن لنا أن نعود.. أم أننا أمة لا تستفيق إلا عندما تُغْزَى الحدود أو تداهمها الصواعق والرعود.

قال ـ تَعَالَى ـ:

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾[1].

(١) الأعراف: ٩٦-٩٩.

إن الذين يستخفون بالمنكرات تحت ظل نُذرٍ تلوحُ في الآفاق ومخاطر تُضَيّق علينا الخناق فقد غَشِيَهُمْ تبلد الإحساس، وهددوا رخاءهم وأمنهم بلا احتراس يضعون في كل لحظة مسمارًا جديدًا في نعش أمتهم بلا اكتراث، بمعاصٍ تُقترف ويدعى إليها أو يعلن عنها بلا إحساس، فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا.. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾[(١)].

ألا نخاف أن يتبدل الأمنُ خوفًا، ورغدُ العيش مسغبةً، والاستقرار تشردًا، ألم يقل ربنا ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

ألم يقل ـ جَلَّ شَأْنُهُ ـ: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾[(٢)].

إن بَطَرَ النعمةِ وعدم شكرها يورث هلاكها، قال ـ تعالى ـ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾، وقال ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾[(٣)].

نحن بهذه الطريقة نربي أبناءنا على تلك الفهوم وتلك المشاعر وتلك الاهتمامات، فإن البيئة المحيطة بالطفل لها كبيرُ الأثر في تكوين شخصيته، فهو يرتوي بما يرى ويسمع من اهتمامات وانفعالات ومشاعر وأحوال، وسينشأ نسخةً مكررة من مربيه، وسيكرر نفس النموذج الْمَعِيشِي الذي نَشَأَ في ظله.

---

(١) النحل: ١١٢.

(٢) الزخرف: ٨٣.

(٣) القصص: ٥٨.

٦ـ ومن مظاهر التنافس المذموم:

الحقد والسخرية

حقد المنافقين وطلاب الدنيا على طلاب الآخرة واحتقارهم والسخرية منهم:

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ، كُنَّا نُحَامِلُ؛ فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ؛ فَقَالُوا: مُرَائِي. وَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ؛ فَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعِ هَذَا. فَنَزَلَتْ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ الآية [(١)][(٢)].

نُحَامِلُ: يحمل أحدنا على ظهره بالأجرة ويتصدق بها.

إن الطفل الذي ينشأ في بيئة تسخر من أهل الدين ومظاهر السنة وتحمل العداء أو الاستخفاف بهم لا بد أن يتأثر بتلك الأحوال التي يراها ويسمع ترجمتها بعبارات ساخرة أو ساخطة، وسيكرر ما رأى وسيردد ما سمع.

٧ـ ومن مظاهر التنافس المذموم:

انتشار العداوات بين المتنافسين

انتشار العداوات والبغضاء بين المتبارين في تحصيل حظوظ الدنيا، ووقوع الحسد بينهم، وتدبير المكائد والدسائس والشائعات لإسقاط الطرف الآخر أو تجارته؛ فاجتمعت لهم عداوة الدنيا وعداوة الآخرة:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»[(٣)].

وقد نهى ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ عن الحسد.

---

(١) التوبة: ٩٧.

(٢) متفق عليه، واللفظ للبخاري (١٤١٥)، ومسلم (١٠١٨).

(٣) متفق عليه: البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ؛ فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ، كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ أَوْ قَالَ: الْعُشْبَ**»(١).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ**»(٢).

إن الأطفال الذين يربون في أوساط مشحونة بالصراعات والعداوات والحسد والدسائس والشائعات من أجل الدنيا ومتاعها سيحفظون نفس المواقف والعبارات والانفعالات والسلوكيات بين جوانب شخصياتهم في المستقبل، وستشكل اهتماماتهم واستجاباتهم للمؤثرات من حولهم حسبما رأوا وعايشوا.

٨- ومن مظاهر التنافس المذموم من أجل الدنيا:

كثرة الخصومات بالمحاكم

كثـرة النزاعات والخصومات بالمحاكم، وأكل الحقوق - تجارات كانت أو أموالًا أو أراضي - بسبب ضياع الأمانة وغلبة الحرص.

قال - تعالى -: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾(٣).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**»(٤).

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِالرَّحْمَنِ - وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُنَاسٍ خُصُومَةٌ فِي أَرْضٍ، فَدَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، فَذَكَرَ لَهَا ذَلِكَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا سَلَمَةَ: اجْتَنِبِ الْأَرْضَ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**»(٥).

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٠٣).

(٢) متفق عليه: البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٥٩).

(٣) الأحزاب: ٧٢.

(٤) رواه مسلم (٢٥٨٢). الجلحاء: التي لا قرن لها.

(٥) متفق عليه: البخاري (٣١٩٥)، ومسلم (١٦١٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»(١).

فلا يَغْتَرَّنَّ بالسلامة ظالمٌ؛ فإنه استدراج، فليدرك نفسه من ظَلَمَ قَبْلَ أوان العقاب.

عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾(٢)(٣).

٩ـ ومن مظاهر التنافس المذموم على الدنيا:

الحديث الدائم عن حظوظ الدنيا

الحديث الدائم عن حظوظها والانشغال بطلبها ليل نهار، وتضييع الصلوات من أجلها، وتقطيع الأرحام.

وماذا نتوقع من طفل تربى تحت قدوة يضيع الصلوات بسبب الانهماك في العمل، جاهل بأمور دينه عليم بأمور دنياه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾(٤).

عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ». وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»(٥).

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤٩).

(٢) هود: ١٠٢.

(٣) متفق عليه: البخاري: (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

(٤) المنافقون: ٩.

(٥) رواه البخاري (٦٤١٦).

قال - تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥﴾[١]، وقال - سُبْحَانَهُ -: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝٢٠﴾[٢].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»**[٣].

فإذا كنت أخي المربي قد فتح اللَّه عليك من نعيم الدنيا فتزود منها لآخرتك؛ فإن حظك منها ما أبليت وما تصدقت، والباقي لورثتك، به يستمتعون وأنت عنه عند ربك مسئول.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ؛ فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ؛ يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ؛ فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ»**[٤].

* * *

---

(١) فاطر: ٥.

(٢) الحديد: ٢٠.

(٣) رواه مسلم (٢٧٤٢).

(٤) متفق عليه: البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠).

مظاهر التنافس المحمود

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[١].

وقال ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[٢].

❑ من مظاهر التنافس المحمود:

عَنْ أَنَس: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: «**مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا؟**» فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ، كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ: أَنَا أَنَا. قَالَ: «**فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟!**» قَالَ: فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ، فَقَالَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ أَبُو دُجَانَةَ: أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ. قَالَ: فَأَخَذَهُ؛ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ»[٣].

فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ: شَقَّ رُءُوسَهُمْ.

❑ ومن مظاهر التنافس المحمود:

عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟**» يَوْمَ الْأَحْزَابِ؛ قَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا. ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟**» قَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**»[٤].

❑ ومن مظاهر التنافس المحمود:

عَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «**لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**» قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «**أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟**» فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ

---

(١) البقرة: ١٤٨.

(٢) آل عمران: ١٣٣.

(٣) رواه مسلم (٢٤٧٠).

(٤) رواه البخاري (٢٨٤٦).

اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ. قَالَ: «فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ»؛ فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ؛ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ؛ فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا. فَقَالَ: «**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ؛ فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**»(١).

وفي الحديث تنافس الصحابة على الراية.

❑ **ومن مظاهر التنافس المحمود:**

عَنْ أَبِي عَبْدِالرَّحْمَنِ: «أَنَّ عُثْمَانَ ﷺ حِينَ حُوصِرَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ: أَنْشُدُكُمُ اللَّهَ، وَلَا أَنْشُدُ إِلَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ**»؛ فَحَفَرْتُهَا، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ**»؛ فَجَهَّزْتُهُمْ. قَالَ: فَصَدَّقُوهُ بِمَا قَالَ»(٢).

قلت: هذا تنافس في الإنفاق، فاز بقصب السبق فيه عثمان بن عفان الخليفة الراشد ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ ـ، فقد اشترى بئر رومة بأربعين ألف درهم، وأنفق في جيش العسرة عشرة آلاف درهم.

❑ **ومن مظاهر التنافس المحمود:**

تنافس طفلين في قتل أبي جهل.

عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي؛ فَإِذَا أَنَا بِغُلَامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمِّ، هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟! قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ، لَا يُفَارِقُ

(١) متفق عليه: البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٢) البخاري (٢٧٧٨).

سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الأَعْجَلُ مِنَّا!! فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ!! فَغَمَزَنِي الْآخَرُ فَقَالَ لِي مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ، قُلْتُ: أَلَا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي. فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا؛ فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَاهُ؛ فَقَالَ: «**أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟**» قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ. فَقَالَ: «**هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟**» قَالَا: لَا. فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ؛ فَقَالَ: «**كِلَاكُمَا قَتَلَهُ، سَلَبُهُ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ**»(١).

❑ **تنافس عمر بن الخطاب ﷺ مع أبي بكر الصديق ﷺ:**

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالًا، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ، إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا. قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟**» قُلْتُ: مِثْلَهُ. وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟**» قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. قُلْتُ: وَاللَّهِ، لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا»(٢).

أخرج المناوي في «الدُّرِّ المنضود»: أنه أصاب الناس قحط في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ فلما اشتد بهم الأمر، جاءوا إلى أبي بكر الصديق وقالوا: يا خليفة رسول اللَّه ﷺ إن السماء لم تمطر والأرض لم تنبت، وقد توقع الناس الهلاك، فما تصنع. قال: انصرفوا واصبروا، فإني أرجو اللَّه ألا تمسوا حتى يفرِّج اللَّه عنكم، فلمَّا أصبحوا خرجوا يتلقونها، فإذا هي ألف بعير موثوقة بُرًّا وزيتًا ودقيقًا، فأناخت بباب عثمان ﷺ، فجعلها في داره، فجاء إليه التجار، فقال: ما تريدون؟ قالوا: إنك لتعلم ما نريد. فقال: كم تربحوني؟ قالوا: اللّهم درهمين. قال: أُعطيت زيادة على هذا. قالوا: أربعة. قال: أعطيت أكثر. قالوا: خمسة. قال: أعطيت أكثر. قالوا: ليس في المدينة تُجَّارٌ غيرنا، فمن الذي أعطاك؟ قال: إن اللَّه أعطاني بكل درهم عشرة دراهم، أعندكم زيادة؟ قالوا: لا. قال: فإني أشهدكم اللَّه

(١) رواه البخاري (٣١٤١).

(٢) رواه الترمذي (٣٦٧٥)، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

ـ تَعَالَى ـ أني جعلت ما حملت العير صدقة للّه على الفقراء والمساكين»[1].

● **كيف يربى الطفل على التنافس المذموم؟!**

١ـ ربط التنافس بتزكية سلوكيات سلبية؛ مثل مسابقات الأكل بين الأطفال، والتي تزكي كثرة الأكل؛ كسلوك سلبي، ينبغي التنفير منه؛ كما نهى رسول اللّه ﷺ عنه.

عَنْ مِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ**»[2].

وقد قال ابن قدامة المقدسي ـ رَحِمَهُ اللّهُ ـ: «... ويُقَبَّح عنده كثرة الأكل بأن يشبه كثير الأكل بالبهائم...».

قلت: وكذلك يتغافل الجميع من مربين وأطفال عن آداب الطعام في مثل تلك المسابقات من تسمية، وعدم ملء الفم، والمضغ الجيد، وغيرها.

٢ـ تربية الأطفال على التسابق في نقل الأخبار والدسائس في بعضهم البعض، أو نقل أخبار الكبار فيما بينهم وبين الأطفال مما ينمي سُلُوكَي النميمة والتجسس السلبيين، وقد ينمي كذلك الكذب عند الطفل الحاقد على أخيه أو زميله من أجل إيقاعه في مأزق والتشفي فيه، وكلها سلوكيات سلبية ينبغي محوها بالصبر والمتابعة المستمرة من سلوك الأطفال.

٣ـ سوء استغلال التنافس من قبل بعض المربين وخاصة الأبوين المتناحرين في استئثار كل منهما بحب الأطفال له أكثر من الطرف الآخر مما يزرع تنافسًا مذمومًا وتفاخرًا سلبيًا بين الأطفال، فهذا يقول: أنا أحب أمي أكثر. وهذا يقول: أنا أحب أبي أكثر. مما يؤدي إلى تنافر الأطفال فيما بينهم أو العكس، فيقول: ذاك أبي يحبني أكثر منك. وآخر يقول: أمي

---

(١) الدر المنضود (ص ٦٦)، نقله صاحب صلاح الأمة في علو الهمة.

(٢) رواه الترمذي (٢٣٨٠)، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

تحبني أكثر منك. مما قد يطور الموضوع إلى زرع التملق والوصولية في سلوك الأطفال، فإذا نشئوا ونمت تلك السلوكيات السلبية معهم فقد قدمنا نماذج سيئة للمجتمع.

٤ـ يدفع بعض المربين أطفالهم لمنافسات غير متكافئة قد تؤثر على ثقة الطفل بنفسه إذا تكرر إخفاقه في الفوز، وقد يكون لذلك الطفل اتجاهًا سلبيًا ضد مادة التنافس سواءً كانت دراسة أو رياضة أو غيرها.

فإذا كان محل التنافس هو المدرسة فقد تسببنا في ضعف ثقته بنفسه وبغضه للتعليم وحسده لمن غلبه، أو حقده على من انتزع منه الترتيب المتقدم.

٥ـ دفع بعض الأسر لأطفالها إلى تنافس في جمع المال عن طريق التسول من غير حاجة عند إشارات المرور، وفي الأسواق بطريقة ملفتة للنظر مما ينمي سلوك الكذب والاحتيال، ويربي الطفل على إذلال النفس واحتقارها، ذلك غير السلوكيات المادية والنفعية والاتكالية.

٦ـ تنافس الأطفال في جمع الطعام والصدقات بما يزيد عن حاجتهم عند سيارات توزيع الصدقات في موسمي رمضان والحج بالبلد الحرام أو في أي مكان.

* * *

كيف يربى الطفل على التنافس المحمود

❑ في البيت:

يستطيع المربي الاستفادة من مزايا التنافس واجتناب مساوئه وذلك بدفع الأطفال وتحفيزهم على التنافس فيما يلي:

١ـ الترتيب؛ ويشمل الفراش والغرفة والدرج والحقيبة.

٢ـ الصلاة في وقتها؛ بالمسجد للأولاد وبالبيت للبنات.

٣ـ الصيام حسب طاقة الطفل؛ مع التدرج في ذلك حتى يقوى عليه.

٤ـ **الاستيقاظ بسهولة من النوم للذهاب إلى المدرسة وصلاة الفجر كذلك.**

٥ـ **تناول الطعام في موعده واتباع آداب الطعام والشراب.**

٦ـ **حسن الخلق؛ مثل: الصدق ـ أدب الحديث ـ طاعة الوالدين ـ الإيثار ـ الأمانة ـ حسن التعبير عن الانفعالات؛ مثل: الغضب والفرح ـ التعاون مع الكبير والصغير.**

٧ـ **المظهر؛ ويشمل النظافة في الثياب والكتب والدفاتر والمكان.**

٨ـ **أداء الواجبات المدرسية.**

يقوم المربي بعمل جدول يضم أسماء أولاده وبناته وعناصر التنافس خلال شهر، ويخصص جائزة مادية أو معنوية حسب وضعه المادي وطريقة معيشته التي يتبعها مع أولاده.

وإليك أخي المربي توضيح لبعض عناصر حُسن الخلق كمجال من مجالات التنافس التي ذكرتها بصورة إجمالية:

الصدق: يشجع المربي طفله على تحري الصدق واجتناب الكذب، ويضع له نقاط كلما صدق في أمر.

أدب الحديث: وذلك باختيار الكلمات الطيبة وعدم مقاطعة المتحدث وخفض الصوت عند الكلام وترك الجدل. «ارجع إلى كتاب «أخطاء المربين» تجد تفصيلًا لكثير من السلوكيات الإيجابية والأخلاق السامية». وتوضع نقاط لصالح الطفل كلما أحسن الحديث.

الإيثار: بإعطاء إخوانه مما يحب من حلوى أو طعام أو لعب أو غيرها، ويربى على التصدق بمصروفه اليومي أحيانًا للفقراء تدريبًا له على الإيثار، أو يتنازل عن دوره في اللعب أو دوره في الخروج بصحبة أبيه لصالح أحد إخوانه تدريبًا له على الإيثار.

طاعة الوالدين: تُعطى بعض الأوامر للأطفال ثم ينظر المربي مَنِ المطيع لوالديه حتى في الأمور التي لا يرغب في تركها، وأوامر في الأوقات التي يكون مشغولًا فيها بما يحب أن يمارسه ويراعي أن تكون تلك الأخيرة نادرة ـ بقصد تفضيل الطاعة على ما يهوى ـ ولا

يكثر منها حتى لا يشعر الطفل بالظلم أو التضييق.

الأمانة: تختبر أمانته بدون درايته بالبحث في حقيبته عن الزيادة من أدوات أو نقود ليست من حقه أو لم يعطها من قِبَلِ أحد الوالدين، ثم تفتعل المواقف لكي يسأله المربي عنها وعن مصدرها بطريقه عفوية في الظاهر، وفي هذا المضمار لا ينبغي إشعار الطفل بالمراقبة والتضييق حتى لا نفسده فيعند ويقترف الأخطاء تمردًا على القيود.

كذلك يُعَوَّد على ردّ الباقي إذا أرسل لشراء لوازم البيت، ويعود الفطنة والحساب لما معه وما صرفه وما بقي.

توضع النقود أمامه معروفة العدد ويؤمر بالتصرف فيها والشراء منها مع وضع الباقي بعد الشراء، فإذا وجدنا خللًا في الحساب فينبغي علاج الأمر بدون تعنيف ولا اتهام، والبحث عن الأسباب التي دفعته لأخذ ما ليس من حقه بذكاء ورفق مع حسم ذلك الموضوع في الصغر قبل أن يكبر ويستفحل الموضوع فيحل الندم.

توضع نقاط لكل تصرف فيه أمانة.

الانفعالات: يعلم الطفل حسن التعبير عن انفعالاته، وأن يَنْطِق ذاته ومشاعره بكلمات مهذبة، ويجب أن يَحْذَر المربي شدة الغضب أمام أطفاله أو التعبير عن انفعالاته بطريقة همجية كما يفعل المنافقون، فإذا غضب الطفل فليقل عبارة تبين غضبه أو سببه، ويمنع من ضرب رأسه بالأرض أو الجدار أو الانطراح على الأرض والصراخ بطريقة هستيرية، فإذا فعل ذلك لا يُلتفت إليه ولا يستجاب لطلبه، ولكن يُهْمَل كأن شيئًا لم يكن، بل كأنه غير موجود، فإذا لم يجد تجاوبًا سينتهي عن ذلك السلوك السلبي ثم يُعوَّد على التعبير عن غضبه بكلمات مؤدبة؛ مثل: لقد ضايقتني، لماذا لا تعطيني كذا؟ من فضلك يا أمي خذيني معك.. لماذا كسرت لعبتي يا أخي؟...وهكذا حتى يعتاد ذلك التعبير عن غضبه، وكذلك الفرح ينبغي ألا يختل وقار المربي عند الفرح، فيقفز في الهواء، أو يرمي الأشياء في الهواء، أو التلويح بالثياب في الهواء بعد خلعها كما يفعل كثير ممن فقدوا الاتزان، ويُعلم المربي طفله أن يعبر عن فرحه بكلمات طيبة، وبحمد الله ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ، أو بالصدقة، أو بالسجود لله

ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ، أو بتقبيل أحد الأبوين من رأسه.... وهكذا يعتاد الطفل الانضباط في التعبير عن فرحته؛ فلا يفعل إذا كبر مثل الذين يغضبون الرب ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ إذا فرحوا ـ بصور التعبير الحمقاء عن مشاعر الفرح ـ؛ كالذين يرفعون أصوات المغنيين بالمسجل، أو يرقصون، أو يخلعون ثيابهم، أو يتلاعنون ويتبادلون الألفاظ القبيحة، أو الذين يعرضون حياتهم للخطر وحياة من حولهم بسوء استعمال السيارات أو إطلاق الأعيرة النارية أو اللعب بالألعاب النارية، فكم من عُرْسٍ انقلب مأتمًا وجنازة بسبب الحماقة واللامبالاة والتسيب وسوء التعبير عن مشاعر الفرح!! وكم من مباراة كانت سببًا في هلاك أرواح أو حرق بيوت أو سيارات، أو إضافة رصيد جديد إلى عدد المعوقين، أو زيادة عدد نزلاء المستشفيات والسجون!! والله المستعان.

التعاون: كذلك يُدَرَّبُ الطفل على التنافس من خلال العمل الجماعي؛ فيتكلم بروح الجماعة، ويتنافس من أجل فوز الجماعة أو الفريق، مما يربي فيه حب الانتماء، ويضعف الأنانية والنزعة الفردية، وكذلك السلبية.

وينبغي أن يحذر المربي من الإكثار من دفع الطفل إلى منافسات فردية، بل الأفضل الإقلال منها حتى لا يسيطر حب الذات والنزعة الفردية على سلوك الطفل بسبب ما يجده من إثابة ونفع أكثر في ظل المنافسات الفردية عنه في المنافسات الجماعية، كما أن تعويد الطفل على أن يجد دوره الذي يؤديه من خلال العمل الجماعي يجعله اجتماعيًا متواضعًا غير ذاتيٍّ ولا متكبر. وتحتسب له نقاط في ظل ذلك التنافس.

المظهر: يُعَوَّدُ الطفل منذ صغره على الحفاظ على ثوبه نظيفًا، وحقيبته وحذائه نظيفين؛ فَيُنْهَى عن ركل الأحجار أثناء السير بالشارع، وكذا يُنْهَى عن اللعب بعلب العصير بدلًا من الكرة، وأن يتجنب سكب العصير على ثيابه أو الجلوس على الأرض والأماكن القذرة بملابسه، وَيُنْهَى عن إلقاء الحقيبة بالأرض وَسَطَ الْحَارَةِ حتى لا تُوطَأَ بالأقدام أو يُتَعَثَّرَ فيها؛ فيتغير شكلها ولونها، وكذا يُعَلَّم تنظيف الأسنان بالمعجون أو المسواك وتصفيف الشعر بالمشط وغسل الوجه قبل الخروج والتعطر إن أمكن، وَيُعَوَّد على تنظيف حذائه وتعريضه

للتهوية والشمس وتغيير الجوارب إذا فاحت منها رائحة كريهة، ويعود الاستحمام والتنظف كل أسبوع مرة على الأقل مع العناية بقص الأظافر واجتناب قضمها بالأسنان، ومن حُسن المظهر - أيضًا - نظافة المكان حوله، سواء بالبيت أو الفصل أو غرفته.

وتحتسب له نقاط على المظهر.

الواجبات المدرسية: لا ريب أن الواجبات المدرسية جزءٌ هامٌ من العملية التعليمية، وفيها تدريب لإنماء سلوكيات إيجابية في الطفل؛ منها: تثبيت المعلومات، وتدريب الطفل على بعض العمليات العقلية المفيدة، ومساعدته على الإلمام بجوانب المناهج، وتعويده على تحمل المسئولية والصبر على أدائها على الوجه المطلوب، والأمانة في الأداء بعدم الغش أو تكليف من يؤديها بدلًا منه، وتعوده الواجبات كذلك على إتقان العمل وتدربه على النظام وكذا على الطاعة والتواضع لأهل الفضل من والدين ومعلِمين وغيرهم.

ولذلك ينبغي الحذر من أداء الواجب بدلًا من الطفل، أو الإجابة بدلًا منه ثم تلقينه إيَّاها، كما ينبغي أن يعود على تنظيم دفتره والتفكير قبل الإجابة، وإتقان العمل ومناقشة المعلم أو المربي فيما يشكل عليه من مسائل، والاهتمام بضرورة أداء الواجب يوميًّا وتقدمه على اللعب والزيارات واللَّهو.

ويحتسب المربي نقاطًا - أيضًا - للمواظبة على أداء الواجب، مع تحفيزه لكسب السبق فيما سبق من عناصر التنافس.

❑ **في المدرسة:**

- تحفيز طلاب الفصل الواحد على الانتباه للمعلمين ودقة التحصيل والمشاركة في نقاش كل درس مع معلم المادة، وتخصيص الإثابات والجوائز للمتفوقين مع توسيع دائرة الإثابة حتى تشمل عددًا معقولًا من الطلاب، مما يحقق الهدف الإيجابي من التنافس، وَيُجَنَّبُوا السلبيات الناتجة عنه، وهي مذكورة تحت عنوان «مساوئ التنافس».

- اجتناب التنافس المدمر وهو الناتج عن عقد المنافسات والمسابقات بين أطراف متفاوتة القدرات تفاوتًا بعيدًا؛ أي: ترك التنافس بين أطراف غير متكافئة.

- عقد المسابقات الثقافية والعلمية والرياضية وغيرها.

- تشجيع ذوي القدرات المحدودة على التنافس فيما بينهم؛ حيث تقترب القدرات، ويُجتنب عقد التنافس بصورة مفروضة إلزامية كما يجتنب الإكثار منه.

- ينوع التنافس بين الفردي تارةً والجماعي تارةً؛ فلا يقتصر على الفردي اجتنابًا لتنمية الذاتية والنزعة الفردية واجتنابًا لإحباط ذوي القدرات المحدودة، مع الاستفادة من التنافس الجماعي في تنمية روح التعاون بين أعضاء الفريق الواحد لكسب السبق على الفريق الآخر.

فوائد التنافس بين الأطفال في طلب العلم

١- يعزز ثقة الطفل بنفسه عندما يتفوق على غيره.

٢- يشجع التنافس الطفل على إبراز مواهبه وإظهارها.

٣- يسهل التنافس تقبل الطفل للعملية التعليمية؛ حيث يتم التعلم بدافع من داخل الطفل لكي يحقق ذاته ويحرز التفوق.

٤- يثري التنافس العملية التعليمية بالمناقشة والمشاركة من قِبَل الطفل بسبب حرصه على الإلمام بالمناهج لتحقيق قصب السبق والتفوق.

٥- يُنَحِّي التنافس الكسل الذهني والتراخي في التفكير من قِبَل الطالب، ويستبدله بنشاط ذهني نابع من الحرص على الفوز بالترتيب الأعلى.

٦- يختصر التنافس جهد ووقت المعلم المبذول في جذب انتباه الطلاب المتنافسون؛ لأن الحرص على التعلم صار حافزًا داخليًا عند الطالب يدفعه لشمولية ودقة التحصيل.

مساوئ التنافس بين الأطفال في الدراسة

- وكما أن للتنافس مزايا فله مساوئ:

١ـ يسبب الإحباط لبعض الأطفال غير المتفوقين لقصور قدراتهم.

٢ـ يولد التنافس زهد الطلاب متوسطي القدرات في التحصيل بسبب اقتصار التحفيز الإيجابي على الأول أو الأوائل.

٣ـ يسبب التنافس فقد الطفل محدود القدرات لثقته بنفسه.

٤ـ يُكَوِّنُ التنافس اتجاهًا سلبيًا ضد التعلم عند الأطفال متكرري الإخفاق في الحصول على الإثابة والحوافز التشجيعية.

٥ـ يولد التنافس النزعة الفردية وَيُزْكِي حُبَّ الذات عند الطفل.

٦ـ ينمي التنافس بعض السلوكيات السلبية عند الأطفال مثل الحسد والحقد.

٧ـ التنافس الفردي يضعف روح الانتماء للجماعة.

٨ـ يعرض التنافس الفردي الأطفال لصراع بين التنافس والتعاون.

٩ـ قد يشعر بعض المتفوقين بالقصور والنقص بسبب عدم تمكنهم من اعتلاء الهرم وضيق فُرَص تحقيق قصب السبق.

* * *

آثار التنافس المذموم على الفرد والمجتمع

❑ التنافس المذموم في حظوظ الدنيا:

- يولد الذاتية وينميها وَيُزْكِي النزعات الفردية عند الطفل الذي يربى عليه، فإذا نشأ على ذلك السلوك السلبي وانتشر في المجتمع أضعف حب التعاون، وَغَيَّبَ الانتماء إلى المجتمع من قيم واتجاهات وسلوكيات الأفراد وبعض الهيئات المحكومة من قِبَل الذاتيين فَرْدِيِّي النَّزَعات.

- تربية الطفل على التنافس من أجل الحوافز المادية فقط، وإهمال الحوافز المعنوية ينشئه على السلوكيات المادية وحب المادة والعمل من أجلها، بل والامتناع عن العمل أو التقصير فيه، والتلفيق عند غيابها مما يدس في صفوف المجتمع رجالًا ماديين يسعون لمصالحهم الذاتية ويقدمونها على الصالح العام إذا تعارض معها، مما يقضي على الإخلاص والانتماء للمجتمع، ويعرقل التقدم والتنمية، ويسبب شعور المستضعفين مهدوري الحقوق بالظلم والنقمة، مما قد يولد صراعات بين أفراد المجتمع تؤدي لتمزقه ولو بعد حين.

- يؤدي إلى كثرة النزاعات بين الأفراد والهيئات، ويترتب على ذلك ضياع الحقوق وزيادة الخصومات؛ فيعم التنافر بين أفراد المجتمع ويشيع التباغض.

- فساد القلب وتشتته بين الخوف على ضياع ما تحقق من حظوظ الدنيا والحرص على زيادة ما باليد، مما يسبب ضيق صدر الفرد ويشيع الأمراض النفسية بين طالبي الدنيا المعرضين عن الآخرة؛ فتضيق الصدور وتكثر الأحزان ويعم الاضطراب والقلق - مرض العصر-، قال - تَعَالَى -: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[1].

- انتشار الحسد والحقد بين المتنافسين، وكذلك بين الفقراء والأغنياء؛ لأن المتنافس إذا اغْتَنَى طلب الزيادة؛ وبالتالي سَيُعْرِضُ عن أداء حق الفقراء في زكاة ماله؛ مما يجلب له

(١) طه: ١٢٤.

الحسد والحقد من المحرومين في ظل تَقَلُّبِهِ في النعيم الزائل، وحرمانهم ربما من بعض الأساسيات الضرورية للمعيشة.

عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا تَتَّخِذُوا الضَّيْعَةَ، فَتَرْغَبُوا فِي الدُّنْيَا**»(١).

ويلاحظ أن النهي هنا عن الاستكثار المفضي إلى تضييع واجبات الدين.

عَنْ كَعْبِ بْنِ عِيَاضٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ**»(٢).

عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾، قَالَ: «**يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي. قَالَ: وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟!**»(٣).

* * *

آثار التنافس المحمود على الفرد والمجتمع

- يولد حب التعاون بين أفراد المجتمع؛ لأنه يكون من أجل الصالح العام ونفع المسلمين؛ كالتنافس في طلب العلم، والتنافس في خدمة المجتمع ومؤسساته؛ مثل: بناء المدارس والمساجد والمساكن الخيرية، والتنافس في ابتكار أو إبداع في أيٍّ من مجالات الحياة مما يعود بالنفع على المجتمع المسلم.
- يرفع من إنجازات وإنتاج المجتمع وينمي ثرواته.
- يرفع من قدرات الأفراد الإنتاجية ويزيد التنمية البشرية.

---

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن (٢٣٢٨).

(٢) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن (٢٣٣٦).

(٣) رواه مسلم (٢٩٥٨).

ـ يجلب رضا اللَّه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ عن المجتمع وأفراده؛ لأنه يحقق قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[1]؛ لأن العمل الجماعي والتعاون في إحدى الهيئات من أجل التقدم على هيئة أخرى لنفع المجتمع المسلم يؤدي إلى انتشار الودِّ والإخاء والانتماء والإخلاص، مما ينشر العدل بين الناس، وحسن التعامل، ويقضي على الأنانية والسلبية والنزعات الفردية، وكلها صفات يحبها اللَّه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ ويبارك بها في الجهود المبذولة.

ـ يحد التنافس المحمود من النزاعات والصراعات من أجل الدنيا؛ باحتلاله مساحة أكبر من اهتمامات المسلمين؛ فتقل مساحة التنافس المذموم، وينكمش الشر والسلوكيات السلبية الناتجة عنه.

ـ يقوي التنافس المحمود من عزم المجتمع ويحفظ مكانته بين المجتمعات الأخرى بسبب ارتفاع الإنتاجية وزيادة التعاون وانكماش الصراعات مما يؤدي إلى التقدم واحتلال مكانة متقدمة بين الأمم الأخرى.

* * *

فهوم خاطئة في التنافس

❑ **ومن الفهوم الخاطئة في التنافس على الآخرة: الثلاثة الذين أنكر عليهم النبي ﷺ.**

عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا آكُلُ اللَّحْمَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ. فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ: **«مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟! لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»**[2].

ومن الفهوم الخاطئة ـ أيضًا ـ في التنافس على الآخرة والزهد في الدنيا:

❑ **فَهْمُ مَنْ أَرَادَ التَّبَتُّلَ؛ فَنَهَاهُ رسول اللَّه ﷺ.**

فقد أورد شيخ الإسلام ابن تيمية الحديث في كتاب **«مكارم الأخلاق»**.

---

(١) البقرة: ١٤٨.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، واللفظ له.

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ، وَلَوْ أَذِنَ لَهُ لَاخْتَصَيْنَا»(١).

اختصينا: أزلنا الخصيتين؛ أي: مَنَعْنَا إنجابَ الأولادِ وابتعدنا عن الزواجِ.

ثم قال ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «والزهد النافع المشروع الذي يحبه اللَّه ورسوله هو الزهد في ما لا ينفع في الآخرة، فأما ما ينفع في الآخرة وما يستعان به على ذلك فالزهد فيه زهد في نوع من عبادة اللَّه وطاعته، والزهد إنما يراد؛ لأنه زهد فيما يضر أو زهدٌ في ما لا ينفع، فأما الزهد في النافع: فجهل وضلال، كما قال ﷺ: «... **احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجَزْ...**»(٢).

والنافع للعبد هو عبادة اللَّه وطاعته وطاعة رسوله، وكل ما صدَّه عن ذلك فإنه ضار لا نافع». انتهى كلامه ـ رَحِمَهُ اللَّهُ(٣).

❑ **ومن الفهوم الخاطئة في التنافس في الدعوة إلى اللَّه:**

هو تنافس بعض الشباب المسلم لضم أكبر عدد من المساجد لصالح حزبهم أو جماعتهم والتنافس على الإمامة وخاصة في المساجد الأهلية إذا لم يكن هناك إمام معينٌ أو عند غياب الإمام، ولا شك أن الدعوة إلى اللَّه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ عمل شرعي وعبادة مرتبطة بالآخرة، وكما هو معلوم فإن الآخرة تسع الجميع، والمنعم المتفضل يعطي ويتفضل وينعم ولا ينقص عطاؤه من ملكه شيء ـ سُبْحَانَهُ ـ، فلماذا التنافس على احتضان المساجد تحت لواء الحزبية؟ ولصالح من يُسحب الخطيب من ثوبه حتى لا يصعد المنبر ليخطب الجمعة في إحدى مساجد المسلمين؛ لأنه من غير شباب الجماعة المعينة؟! هل هذه دعوة إلى اللَّه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ أم دعوة إلى حزبية؟! وهل يعظم شعائر اللَّه من تربى على مثل تلك الفهوم والأعمال؟ وهل لا بد للمرء أن يلتزم بدينه من خلال فهمنا، أو يجب أن يهتدي هذا أو

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٧٤)، ومسلم (١٤٠٢).

(٢) جزء من حديث رواه مسلم (٢٦٦٤)

(٣) مكارم الأخلاق، لابن تيمية. ص٢٦٢ المكتبة العصرية ـ بيروت. ط١٤٢٣هـ.

ذاك على أيدينا دون غيرنا؟! أين الغاية هنا؟!

هل الدعوة هي الغاية أم الهداية لدين الإسلام هي الغاية؟ لا شك أن الدعوة وسيلة والهداية غاية، وإن أقررنا بأن الدعوة وسيلة فهل لا بد أن تتحقق الغاية بوسيلة تلك الجماعة دون وسيلة الآخرين؟

إن الذين ينزلون الوسائل منازل الغايات والذين ينحرفون عن سنة المصطفى ﷺ في العمل الدعوى بحجة أن الغاية تبرر الوسيلة جَانَبَهُمُ الصواب وبدلوا الغاية من الدعوة إلى اللَّه: فصارت دعوتهم موجهة إلى حزبهم وأفكارهم بدلًا من دعوة الناس إلى الإيمان والإسلام والهداية إلى الحق والصَّواب، لقد تَرَبَّى كثيرٌ من الشباب على تقديم طاعة الجماعة على طاعة اللَّه ورسوله تحت ستار الغاية تبرر الوسيلة، والأمثلة كثيرة نذكر منها فتوى بعضهم بجواز حلق اللحية من أجل مصلحة الدعوة، بل أمروا شبابهم بحلق اللحى من أجل مصلحة الدعوة، وقد حرَّم الشارع الحكيم حلق اللحية فهل نحن نعبد الدعوة أم نعبد اللَّه ـ جَلَّ شَأْنُهُ ـ، أم نعبد الحزب والجماعة؟!

❑ **ومن الفهوم الخاطئة في التنافس في الدعوة إلى اللَّه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ:**

التسابق في ضم أكبر عدد ممكن من الشباب لصالح الذين يربون شبابهم على عدم الكلام في العقيدة؛ لأنها ـ كما زعموا ـ تفرق الصف وتسبب تنازع المسلمين، فإذا كان الأمر كذلك فلماذا خلقنا اللَّه ـ جَلَّ شَأْنُهُ ـ؟ هل خلقنا لكي نعبد غيره أم خلقنا لكي نشرك معه غيره في أنواع العبادة ـ والتي لا يجوز صرف أيٍّ منها إلى غيره ـ سُبْحَانَهُ ـ، كما لا يجوز إشراك غيره معه في أيِّ عبادة: قولية كانت، أو فعلية، أو قلبية، ظاهرة كانت أو باطنة...؟! وهل شرعت الدعوة للاستكثار من الأتباع على حق كانوا أو باطل، على شرك كانوا أو توحيد؟!

إن هذا من الانحراف بالوسيلة وإنزالها منزلة الغاية ـ أيضًا ـ؛ لأن تأخير العقيدة أو إلغاؤها ينبئ عن رغبة في الاستكثار من الأتباع للجماعة حتى ولو كان الأتباع يشركون ويبتدعون ويلحدون في أسماء اللَّه ـ جَلَّ وَعَلَا ـ وصفاته، وما جعل المسلمين غثاءً مع كثرتهم إلا تلك

الفهوم.

وقد تعجبتُ من قول أحد الطيبين بأنه اهتدى على أيدي مجموعته بعض المسلمين ولم يستطع آخرون هدايتهم بسبب تنفيرهم لهم بالكلام عن الشرك والبدع.

قلت: أعاذنا اللَّه من الحزبية المقيتة، فهذا عين التنافس المذموم، وإن كنت أظن أن الجماعة الأخرى لم تحسن الدعوة ولم تتدرج ولم تتمكن من تأليف القلوب قبل ترويض العقول، لكن ليس معنى هذا أن الخلل في المنهج بل الخلل في الطريقة أو وسيلة العرض لدين اللَّه بسبب نقص الخبرة، ولكن ليس معنى هذا أننا ينبغي أن نتنازل عن جزئيات أو كليات في شرع اللَّه من أجل تأليف قلب المدعوين؛ لأن هذا ضلال ومجاملات تورد الداعية المهالك وتنحرف بدين اللَّه عن مقاصد التشريع.

ولو كان هناك مجال للمجاملات والتنازلات لكان أولى بها رسول اللَّه ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ عندما أتاه ابن أم مكتوم ﷺ يستأذنه أن يرخص له بالصلاة في البيت، وهو رجل ضرير وليس عنده رفيق يقوده إلى المسجد، والطريق موحش قد تعترضه الهوام أو المعوقات، ورغم ذلك لم يجامله ﷺ، بل أعلن أنه لن يجامل ابنته ومهجة فؤاده ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

عَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ؛ فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟!**» ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»[1].

فإذا كان الرسول ﷺ لم يجامل في قطع اليد، فَقَطَعَ يَدَ المخزومية عند السرقة ـ وهو حكم شرعي ـ فما بال أقوام يجاملون بتنحية العقيدة جانبًا من أجل مصلحة الدعوة وهي أهم

(١) متفق عليه: البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨).

وأكثر ضررًا على من خالفها من ضرر السرقة أو صلاة الجماعة بالمسجد لرجل ضرير.

- ومن الفهوم الخاطئة في التنافس:

- خِطْبَةُ الرجل على خِطْبَةِ أخيه.

وهذا النوع من التنافس محرم شرعًا.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - كَانَ يَقُولُ: «نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَبِيعَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَلَا يَخْطُبَ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَتْرُكَ الْخَاطِبُ قَبْلَهُ أَوْ يَأْذَنَ لَهُ الْخَاطِبُ»(١).

- ومن الفهوم الخاطئة في التنافس:

خطبة المعتدة من طلاق رجعي؛ لأنها ما زالت زوجة، وهو منافسة الرجل على مطلقته، وأضراره جلية وخطيرة، وفيه معصية للَّه - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وأذى لمشاعر الزوج المطلق طلاقًا رجعيًا، ويترتب عليه مفاسد الحقد والغضب، وقد يؤدي للقتل.

- ومن الفهوم الخاطئة في التنافس:

التسابق إلى التصريح بخطبة المعتدة من وفاة زوجها، ولا بأس بالتعريض؛ لقوله - تَعَالَى -: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾(٢).

وهذا النوع من التنافس فيه انتهاك لحرمة الزوج المتوفى، وأضرار لمشاعر أهله وعشيرته. ومعصية للَّه - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥١٤٢) واللفظ له، ومسلم (١٤١٢).

(٢) البقرة: ٢٣٥.

❑ ومن الفهوم الخاطئة في التنافس:

● بيع الرجل على بيع أخيه.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَبِعْ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَلَا يَخْطُبْ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ لَهُ**»(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لَا يَسُمْ الْمُسْلِمُ عَلَى سَوْمِ أَخِيهِ**»(٢).

❑ ومن الفهوم الخاطئة في التنافس:

تباري بعض الرياضيين في كمية الأكل، فهذا أكل خمس دجاجات وهذا أكل سبع دجاجات، وكذلك تنافس بعض الأطفال أو الطلاب في المسابقات الترويحية ـ الرحلات ـ في سرعة الأكل، فهذا التنافس يعلم الطفل الجشع والنهم وينسيه التسمية قبل الأكل وترك كثير من آداب الطعام، وفيه إقرار لسلوكيات خاطئة حتى ولو كان من باب الترويح فهو خطأ.

❑ ومن الفهوم الخاطئة في التنافس:

تسابق بعض الموظفين للارتقاء في السّلك الوظيفي متخذين طرقًا غير مشروعة مثل الوسائط والشفاعات، أو الرشوة، أو التمسح بأعتاب المسئولين والرؤساء، أو التشهير بالخصم المنافس، أو تلفيق التُّهَم والمكائد للخصم المنافس، والمؤلم أن تحدث تلك السلوكيات المتردية بين أصحاب الهمم الساقطة من المدرسين والتربويين، سواء كانوا وكلاء مدارس أو مدراء أو غيرهم في المدارس، أو الإدارات التعليمية، والمفترض في هؤلاء أن يرتقوا إلى مستوى المسئولية؛ لأنهم يربون أجيالًا وهم صنَّاع مجتمعات الغد القريب، فإذا انتشرت بينهم تلك الأوبئة فلا بد أن تنعكس على مستقبل الأمة، ذلك أنهم يضعون الرجل غير المناسب في المكان المناسب لغيره مما يسبب الانحدار في مستويات الكفاءة

(١) متفق عليه: البخاري (٢١٦٥)، ومسلم (١٤١٢) واللفظ له.
(٢) رواه مسلم (١٥١٥).

الإنتاجية في مجال التعليم ويسبب إخفاقًا في إنتاج كوادر بشرية قادرة على النهوض بمنجزات الأمة لترتقي إلى مستوى التنافس مع الأمم الأخرى، إن الأمر خطير ولا تظهر آثاره إلا في أزمنة متأخرة عن زمن مجرى الحدث؛ ولذلك فإني أعتبر ذلك خيانة للأمانة وضرب لمستقبل الأمة ومعوق خطير لتقدمها ورقيها؛ لأن المدير المتعثر في أدائه، المكرر لذاته، العازف عن التطوير لمؤسسته - تربوية كانت أو غير تربوية - هو في الحقيقة معوق للتقدم، وعالة على المجتمع، وكذلك المدرس المتعثر في أدائه، المكرر لذاته مع مرور الأعوام لا ينتج إلا عقولًا تقليدية الفهم والتفكير، عاجزة عن استيعاب مفردات التقدم العلمي، متأخرة عن النهوض بمسئولياتها نحو تقدم المجتمع واحتلال مكانًا مرموقًا بين الأمم، ولست بهذا داعيًا إلى تسريح المعلمين وعزل المدراء لكن ينبغي السعي لتطوير الأداء بتدريب الحيارى في أعمالهم وأداء مسئولياتهم - الذين قفزوا إلى أماكن غير مناسبة لهم - لتطوير أدائهم بما يتناسب مع روح العصر، وإلا فليفسحوا المجال لمن هو أقدر على النهوض بأدائه إلى مستويات متقدمة، كما ينبغي إيقاف السيل الجارف من الوسائط والشفاعات لاحتلال الوظائف، وليكن مقياسنا الكفاءة الذاتية والمهارات الفردية، وليس التطفل على الأعمال بالشفاعات أو الرشوة، وقد أعجبني قول القائل:

إذا لم تستطع شيئًا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

ذلك لأن الأمر لا يتعلق بمجرد شخص يرغب في التكسب لرزقه، بل إنه يتعدى إلى أبعد من ذلك بكثير.. نعم.. إن تلك الفهوم الخاطئة والسلوكيات السلبية تؤثر على مستقبل الأمة المسلمة، وهي من أسباب التزام المسلمين بذيل القائمة، وازدراء الأمم الكافرة لهم، وتسلطها عليهم بسبب ضعفهم وتأخرهم إيمانيًا أولًا ثم إنتاجيًا في كثير من مجالات الحياة من عسكرية وطبية وصناعية وتقنية وثقافية وعلمية، وتحتفظ المؤسسات التربوية والتعليمية نصيبًا أعظم من تلك المسئولية عن التأخر والقصور؛ لأنها لا تدرب الطالب على عمليات عقلية عالية إلا في أضيق الحدود، وتكتفي بالحد الأدنى من الأهداف السلوكية مثل المعرفة والتذكر. متجاهلة سواها مثل التقويم والتحليل والتركيب والمقارنة والاستنباط

والحكم على الأشياء وغيرها كثير.

❑ **ومن الفهوم الخاطئة في التنافس:**

تباري بعض شباب المسلمين في مخالفة تعليمات وأصول السير؛ مثل: تجاوز السرعة حدَّ الأمان والنجاة، والمخاطرة والتهور بتلك السرعات الجنونية، وكذا التفاخر بالتجاوز من اليمين وانتشار المصطلحات الضوئية باستعمال الغمازات أو الإشارات الجانبية بالسيارة.. فهو يتجاوز من اليمين بطريق الخطإ ثم يسرع مستفزًّا إياك بقوله ـ عن طريق إشارات السيارة اليمنى واليسرى؛ أي: الأنوار الجانبية ـ: «لن تلحقني»، ومما يدفع الخفيفَ لملاحقته ومحاولة سباقه؛ فتقع الكوارث، ناهيك عن قطع الإشارات والتباري والتفاخر بهذا العمل غير المسئول المنبئ عن الاستخفاف بالأرواح والأموال والمشاعر والأنظمة، ومن العجب المخزي أن إحدى القنوات العربية أرادت من خلال الحوار الشعبي أن تحد من تلك الظواهر فاستضافت أحد الشباب تسأله عن مشاعره عندما يرى شابًا آخر يقطع إشارة المرور بسيارته المسرعة، فجاءت الإجابة من ذلك الشاب على غير المتوقع متحديًا الأنظمة ومشاعر المشاهدين ـ العقلاء منهم ـ قائلًا: «إذا رأيت شابًا يقطع إشارة المرور أشعر بالألم؛ لأنه لم يكن أنا الذي أقطع تلك الإشارة» فهو يتتابه نوع حديث من الغيرة من ذلك الذي قطع الإشارة، ويغمره التمني لو أنه هو القاطع لها.

وهذا النوع من التنافس هو تنافس في التسيب واللامبالاة، أو إن شئت فقل: هو تنافس في حب الظهور واستكمال نواقص النفس البشرية بكسر حواجز التعليمات والأنظمة المقيدة للحرية الفوضوية غير المتزنة وغير المنضبطة، والمتفلتة إلى عنان الضياع والفراغ والتقليد، المتغافل طالبها عن كونه يشرب السُّمَّ وما يدري أن فيه حَتْفَهُ.

❑ **ومن الفهوم الخاطئة في التنافس:**

تسابق بعض الموظفين في كسب رضا المسئول الكبير أو المدير بطريقة تخرجهم عن حد الاعتدال المطلوب وعن حدود العمل، فهذا يأتي مبكرًا قبل جميع زملائه لكي يحجز مكانًا في دفتر الحضور لتوقيع المدير كاتبًا اسم المدير ثم اسمه حتى ينخدع المفتش ويظن أن

هذا المدير يأتي لعمله مبكرًا جدًّا قبل جميع الموظفين، وإن شئت فقل: قبل جميع المدرسين، ثم يأمر هذا الموظف النشيط - المتفاني في خدمة مديره - زملاءه المتأخرين بعدم كتابة الوقت الحقيقي المتأخر الموافق لحضورهم، بل لا بد لهم من كتابة وإثبات حضورهم مبكرًا بتزوير وقت الحضور حتى يظن المفتش أن هذه المؤسسة التربوية منضبطة، ويأتي جميع موظفيها مبكرًا، وفي إحدى المرات جاء المفتش مبكرًا فوقعت الفضيحة والإحراج؛ حيث وجد المدير حاضرًا غير موجود.. نعم .. حاضر في دفتر الحضور وغير موجود بذاته وبدنه، فهو موجود بروح تعليماته، لكن بدنه ما زال بالبيت، وهذا موظف نشيط يكتب شعرًا ركيكًا في رئيسه، والعجيب أن هذا الموظف مبتلى ببعض الأخطاء الإملائية لكنه تجاسر على كتابة الشعر من أجل الفوز بالرضا ورفعة التقدير، وهذا موظف يترك العمل من أجل شراء «السمك» لمديره العزيز، فلا بأس فإن المدير مشغول بقراءة الصحف وإدارة العمل، وهو رجل لطيف يستحق أن يُخْدَم وأن يُطاع.. ليس خوفًا من عدم تجديد عقد العمل ولكنها الصداقة المزعومة بين الموظف ومديره، وذاك موظف تفرّد بمجاورة سكنه لمخبز مشهور فهو يأتي بالكعكات اللذيذة لإفطار حضرة المدير كل صباح، وذاك موظف نذر نفسه في أحد الأيام لخدمة سيارة سعادة المدير؛ فترك عمله وذهب بالسيارة لكي يفحصها بعيادة الفحص الدوري. والنماذج كثيرة وكلها حقيقة ليست من وحي الخيال ولا حتى من وحي القلم.

هذا النوع من التنافس فيه تعظيم خطير على أعمال القلب، وامتهان للنفس وإذلالها، وإعانة للطغاة على التمادي في طغيانهم، وأكل أموال لم تَسْتَوْفِ حَقَّهَا من العمل المقابل؛ أي: تطفيف وإهدار لحقوق الآخرين الغائبين من أجل أحد المتسلطين الحاضرين، ونقص في الأمانة.

وقد وصف حالَ هؤلاء أحدُ القائلين فقال لمديره: أحلامك أوامر لنا، وعيوننا طفايات لسجائرك.. والله المستعان.

❑ ومن الفهوم الخاطئة في التنافس:

التسابق على إمامة المصلين، وهذا خلاف فعل الصحابة، وإنما يكون التنافس في الأذان لقوله ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ في الحديث المتفق عليه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**»[(١)].

❑ ومن الفهوم الخاطئة في التنافس:

حضور بعض المصلين متأخرين يوم الجمعة، ثم الشروع في تخطي الرقاب للوصول إلى الصف الأول أو الذي يليه، وقد يأثم من يفعل ذلك بسبب أذاه للمصلين بينما قصده الحصول على أجر الصف الأول، والأولى أن يجلس حيث انتهى به المقام، وألا يزاحم وألا يتخطى الرقاب، وإذا أراد الصف الأول فليأت مبكرًا إلى الصلاة.

ومن الخطإ ـ أيضًا ـ ما يفعله بعض المصلين في المسجد الحرام بوضع كل منهم مصلية أو سجادة ـ خاصة بالصف الأول ـ قبل الصلاة بساعات، ثم يخرج لأداء بعض شئونه، أو يكون جالسًا في بيته القريب من الحرم أو دكانه ينتظر الأذان ثم يذهب للمسجد بعده، وهذا اعتداء على حقوق من حضر إلى المسجد قبله وَجَلَسَ مُنْتَظِرًا للصلاة بالمسجد الحرام، فَمُنِعَ من الصف الأول بسبب سجادة خاصة بغيره، سواء وضعها ذلك الغير بنفسه ثم ذهب، أو وضعها له أحدهم بالاتفاق بينهما.

❑ ومن الفهوم الخاطئة في التنافس:

مشاركة بعض الإسلاميين في الانتخابات البرلمانية ومنافستهم للعلمانيين وغيرهم في الحصول على مقاعد في المجالس البرلمانية، وما يترتب على ذلك من مخالفات شرعية لا تخفى عليهم، ولكنهم يتغافلون عنها اتباعًا لقاعدة غير شرعية خاطئة وهي: «الغاية تبرر

(١) متفق عليه: البخاري (٢٦٨٩)، ومسلم (٤٣٧).

الوسيلة»، كما لا يخفى عليهم ما يتعرضون له من إهانات واستخفاف وسخرية أحيانًا، فهذا مرشح يُعطى رمزَ «القُلَّةِ» وذاك يعطى رمزَ «المسدس»، ومن أجل الغاية المزعومة فهو يرضى بأن تعلق صورته بلحيته وقد رسم بجانبها «قُلَّة»، وذاك يعلق صورته بالشوارع وقد رسم بجوارها «مسدس»، ويخرج المسلمون المشجعون بِلِحَاهُمُ المباركة في الشوارع يهتفون «عَلِّم عَلِّم على القُلَّة» «عَلِّم عَلِّم على المسدس» يدعون الناس لانتخاب ذلك الأخ المسلم صاحب رمز «القُلَّة»، وذاك الأخ المسلم صاحب رمز «المسدس».

وقد يفوز بعضهم فيدخل إلى أروقة البرلمان حيث يتغافل هناك عن بعض المخالفات ويتنازل رويدًا رويدًا عن عُرَى الإسلام حتى يصطف مع من يُشَرِّعُون للمسلمين ومع من يُخَيِّرُون بين تطبيق الشريعة أو عدم تطبيقها.

❑ **ومن الفهوم الخاطئة في التنافس:**

تسابق بعض الموظفين في التجسس على زملائهم، وتجميع الأخبار للمسئولين من أجل كسب السبق في نيل الرضا والوصول إلى قلوب المديرين .. طيور خضراء من البشر تطير هنا وهناك تروح خواءً أجوافها وتعود منتفخة أوداجها بالسمِّ الزعاف، طعامهم عورات الناس، وآمالهم جمع الأباطيل ونشر الأراجيف، يمزقون الهيئات ويقطعون أوصالها بهواياتهم الساقطة من أجل كسب رخيص وهو نيل رضا الرئيس، فهم عيون المدراء تدارُ بجهودهم الهيئات الفاشلة في كسب رضا العزيز الرءوف الرحيم، وبأفواههم الكبيرة المتغلغلة بين الآذان تُسَوَّدُ التقارير عن زملائهم الغافلين عن أثرهم الكبير في رفع الوضيع وإسقاط النزيه وتخوين الأمين وتزكية الخريم، وبهم تنقلب الحقائق أكاذيب وتصبح الأراجيف تباشير.

❑ **ومن الفهوم الخاطئة في التنافس:**

رفع مهور البنات عند الوصول لسن الزواج، فهذا يقول: ابنتي مهرها مئة ألف. وذاك يقول: ابنتي مهرها أكثر من مهر بنت فلان. فصار الزواج عند بعض العائلات فرصة لصيد ثمين، فمن يدفع أكثر يتقدم ويُكَرَّم، ومن يدفع أقل يتأخر ولا يُقْبل، فلا دينَ رَجُل اعتبروا،

ولا خلقًا حميدًا قدَّروا، وقاعدتهم إذا كان معك قرش فأنت تساوي قرش، وإذا كان معك مليون فأنت تساوي مليون حتى ولو كنت مجنون، فلا حسب ولا نسب ولا دين ولا خلق، بل القرش يتكلم ويحاجُّ عن صاحبه.. وبهذا الفهم المادي المتردي تعنست البنات، وانحرف الشباب، وسيطرت الشهوات، وانتشر الزنا، وظهر اللواط في بلاد المسلمين.

فيأيها الْمُغالي في مهور البنات، هل تظن أنك ستنجو من العواقب وتسلم من السؤال بين يدي العليم القهار؟!

هل تأمن على بناتك من الانحراف أو الشهوات؟!

وإذا كان كل مربٍّ يظن أن تعطيله لزواج بناته من أجل غلاء المهور سيمر بسلام وأنه سَيُتْقِنُ في بيته يُتْقِنُ إغلاق الأبواب بإحكام، فبنات مَنْ هؤلاء صاحبات القصص المؤلمة إذن؟!! هل يُقارن العَارُ بأطنان الريالات؟ أم هل تدفع الريالات عنك دعوات المظلومين بعد الممات؟

هل تنام ملء جفنيك وبالغرفة المجاورة بنتك تحاصرها الدمعات والحسرات والآهات والزفرات ثم الدعوات؟ فإذا كان اللَّه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ لا يرحم من لا يرحم الناس فماذا يفعل بمن لا يرحم مهجة فؤاده ومنبت عِزِّهِ أو عَارِهِ؟

يَسِّرُوا الزواج يا أيها المربون، ولا تكونوا سببًا في دخول بَنَاتِكُمُ النار بعد أن تلتقوا بهن على الصراط، فإذا نجوتم من العار في الدنيا فلن تنجوا من تعلقهن برقابكم يوم يقوم الأشهاد، فزواج بلا مهر أفضل من مخادنة أو سحاق أو دعوات مهلكات، فهل أعددتم للسؤال جوابًا؟!

* * *

أسباب التنافس المذموم من أجل الدنيا

١ـ ضعف اليقين بالرزق:

من الأسباب المؤدية إلى تنافس الدنيا المذموم ضعف اليقين برزق الله ـ جَلَّ وَعَلَا ـ القائل في كتابه العزيز: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾(١).

ولو علم المتنافسون من أجل تحصيل حظوظ الدنيا أن المبالغة في السعي والتعلق بالأسباب لا يزيد من رزق المرء شيئًا؛ لرفعوا العناء عن أنفسهم، وَلَاكْتَفَوْا بالقدر المشروع من السعي في طلب الرزق.

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾(٢).

ولو علموا أن المرء يدركه رزقه كما يدركه أجله، ولن يستطيع المرء أن يَفِرَّ مِنْ رزقه ـ إن أراد ـ مثلما لا يتمكن من الفرار من الموت عند انتهاء أجله لهدأت نفوسهم، قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ﴾(٣).

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ؛ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»**(٤).

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ،**

---

(١) الذاريات: ٢٢.

(٢) الزخرف: ٣٢.

(٣) النحل: ٧١.

(٤) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. (٢٣٤٤)، وصححه الحاكم (٣١٨/٤).

وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللَّهِ أَوْشَكَ اللَّهُ لَهُ بِالْغِنَى؛ إِمَّا بِمَوْتٍ عَاجِلٍ أَوْ غِنًى عَاجِلٍ»[(١)].

❑ تربية الطفل على ضعف اليقين بالرزق:

كذلك فإنه من الخطإ العظيم تربية الطفل على ضعف اليقين بالرزق، والاعتماد على غير اللَّه ـ سُبْحَانَهُ ـ في جميع أموره، مما يسبب له شرخًا عظيمًا في عبادة التوكل على اللَّه، ومما يعلق قلبه بالأسباب، فإذا أراد من شخص معروفًا صار يتمسح به ويتملقه ويبالغ في إرضائه وينتقي الكلمات والعبارات التي يخاطبه بها ويبالغ في الاحترام والثناء والتعظيم لذلك الشخص وغير ذلك مما هو مشاهد في واقع الكبار، ولو رُبِّي ذلك المتعلق بأسباب الرزق منذ صغره على حسن التوكل على اللَّه مع الأخذ بالسبب دون تعلق القلب به؛ لعلم أن اللَّه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ هو الذي يشرح صدر هذا لخدمته ونفعه، وهو ـ سُبْحَانَهُ ـ الذي يغلق صدر آخر فلا يسعى لخدمته مهما حصل له من المدح والتملق والثناء والتوقير والتعظيم والتمسح به، فالأمر للَّه وحده والقلوب بين إصبعيه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ يقلبها كيف يشاء فضلًا منه وعدلًا.

ولا أنصح بتعويد الطفل على إجابة طلبه إذا ألح وكرر الطلب ورجا وتحايل وتملق؛ لأن ذلك يؤثر على توكله على اللَّه ويضعف تعلق قلبه بمسبب الأسباب ـ سُبْحَانَهُ ـ؛ فيصرفه إلى البشر ويلفته إليهم لتحصيل مراده، بل ينبغي أن يُعَلَّم عدم الإلحاح والاكتفاء بالتذكير بحاجته، ثم دعاء اللَّه كي يشرح صدر فلان لإجابة طلبه وتحقيق رغبته.

٢ـ طول الأمل:

من أسباب التنافس المذموم طول الأمل، قال الإمام ابن قدامه المقدسي في «منهاج القاصدين»: «والناس متفاوتون في طول الأمل تفاوتًا كثيرًا، منهم من يأمل البقاء إلى زمان الهرم، ومنهم من لا ينقطع أمله بحال، ومنهم من هو قصير الأمل، فَرُوِيَ عن أبي عثمان النهدي أنه قال: بلغت ثلاثين ومئة سنة وما من شيء إلا قد عرفتُ فيه النقصان إلا أملي

---

(١) رواه أبو داود (١٦٤٥) واللفظ له، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب. (٢٣٢٦).

فإنه كما هو.

وحُكِيَ في قصر الأمل أن امرأة حبيب أبي محمد قالت: كان يقول لي - يعني أبا محمد -: إن مِتُّ اليوم فأرسلي إلى فلان يغسلني ويفعل كذا وكذا، واصنعي كذا. فقيل لها: أُرِيَ رؤيا؟ قالت: هكذا يقول كل يوم.

فهذه أصول الزهاد في قِصَر الأمل، وكلما قَصُرَ الأمل جاد العمل؛ لأنه يُقَدِّرُ أن يموت اليوم فيستعد استعدادَ ميتٍ، فإذا أمسى شكر اللَّه - تَعَالَى - على السلامة وقَدَّرَ أنه يموت تلك الليلة؛ فيبادر إلى العمل». انتهى كلامه - رَحِمَهُ اللَّهُ -.

وقد ذكر - رَحِمَهُ اللَّهُ - أيضًا السبب في طول الأمل فقال: «واعلم أن السبب في طول الأمل شيئان: **أحدهما**: حب الدنيا، **والثاني**: الجهل، أما حب الدنيا فإن الإنسان إذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثَقُلَ على قلبه مُفَارَقَتُهَا.. فإذا خطر له الموت في بعض الأحوال والحاجة إلى الاستعداد له سَوَّفَ بذلك وَوَعَدَ نفسه، وقال: الأيام بين يديك إلى أن تكبر ثم تتوب. وإذا كبر قال: إلى أن يصير شيخًا. وإن صار شيخًا قال: إلى أن يفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة أو يرجع من هذه السفرة. فلا يزال يُسوِّف ويؤخر ولا يحرص في إتمام شغل إلا ويتعلق بإتمام ذلك الشغل عشرة أشغال، وهكذا على التدرج يؤخر يومًا بعد يوم ويشتغل بشغل بعد شغل إلى أن تختطفه المنية في وقت لا يحتسبه؛ فتطول عند ذلك حسرته». انتهى.

ثم قال: «والسبب الثاني: الجهل: وهو أن الإنسان يُعَوِّلُ على شبابه ويستبعد قرب الموت مع الشباب... وإلى أن يموت شيخ قد يموت ألف صبي وشاب، وقد يغتر بصحته ولا يدري أن الموت يأتي فجأة - وإن استبعد ذلك -؛ فإن المرض يأتي فجأة، وإذا مرض لم يكن الموت بعيدًا، ولو تفكر وعلم أن الموت ليس له وقت مخصوص من صيف وشتاء وربيع وخريف وليل ونهار، ولا هو مقيد بسن مخصوص من شبابٍ وشيخ أو كهل أو غيره، لعظم ذلك عنده واستعد للموت». انتهى[1].

(١) منهاج القاصدين، من باب ما جاء في فضل ذكر الموت، الإمام ابن قدامة المقدسي.

عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺقَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺخَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسَطِ وَقَالَ: «**هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ، وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا**»[(١)].

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺخُطُوطًا فَقَالَ: «**هَذَا الْأَمَلُ، وَهَذَا أَجَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ الْخَطُّ الْأَقْرَبُ**»[(٢)].

عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺبِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**». وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: «**إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ**»[(٣)].

٣ـ حب الدنيا:

ومن الأسباب المؤدية للتنافس المذموم كذلك حب الدنيا، فإن المرء إذا أحب شيئًا ركن إليه وَاسْتَهْوَاهُ جَمْعُهُ، والتزودُ منه، والتنافسُ فيه، والتزاحم عليه، والخوف من زَوَالِهِ.

قال العلامة ابن قدامة: «أما حب الدنيا فإن الإنسان إذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها.. والإنسان مشغول بالأماني الباطلة، فيمني نفسه أبدًا بما يوافق مراده؛ من البقاء في الدنيا، وما يحتاج إليه من مال وأهل ومسكن وأصدقاء وسائر أسباب الدنيا؛ فيصير قلبه عاكفًا على هذا الفكر، فيلهو عن ذكر الموت ولا يُقدِّرُ قربه»[(٤)]. انتهى.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٧).

(٢) رواه البخاري (٦٤١٨).

(٣) رواه البخاري (٦٤١٦).

(٤) منهاج القاصدين ـ المختصر ص٣٩٠ ط المكتبة العصرية ١٤٢٣هـ.

وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾[1]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا: هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا، أَوْ غِنًى مُطْغِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوْ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوْ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ؟!**»[2].

وفي سَنَدِهِ محرر بن هارون، قال عنه الحافظ في «التقريب»: متروك. وقد روي من طريق آخر بسند فيه مجهول، والحديث ضعيف نقلًا عن تحقيق عبدالعزيز رباح، وأحمد يوسف الدقاق، بمراجعة شعيب الأرناءوط.

سَبْعًا: أي من النوازل.

مُفَنِّدًا: يتسبب عنه نقص العقل واختلاله.

مُجْهِزًا: سريعًا.

عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**». وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: «**إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ**»[3].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا لَسَرَّنِي أَنْ لَا تَمُرَّ عَلَيَّ ثَلَاثُ لَيَالٍ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا شَيْئًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ**»[4].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ ـ قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: عَلَيْكُمْ**»[5].

---

(١) المنافقون: ٩.

(٢) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن (٢٣٠٦). وهو في السلسة الضعيفة (١٦٦٦) للعلامة الألباني ـ رحمه الله ـ ولكن معناه صحيح.

(٣) رواه البخاري (٦٤١٦).

(٤) متفق عليه: البخاري (٦٤٤٥) ومسلم (٩٩١).

(٥) متفق عليه: البخاري (٤١٠٣)، ومسلم (٢٩٦٣)، واللفظ له.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... **فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**»(١).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**»(٢).

وقال ـ تعَالَى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥﴾(٣).

وقال ـ جَلَّ شَأْنُهُ ـ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ۝١٤﴾(٤).

ولو علم المرء حقيقة الدنيا لما أجهد نفسه في حُبِّهَا وَجَمْعِهَا.

عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**»(٥).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ**»(٦).

---

(١) جزء من حديث متفق عليه: البخاري (٤٠١٥)، ومسلم (٢٩٦١).

(٢) رواه مسلم (٢٧٤٢).

(٣) فاطر: ٥.

(٤) آل عمران: ١٤.

(٥) رواه الترمذي، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ (٢٣٢٠). وهو في الصحيحة (٩٤٠).

(٦) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن. (٢٣٢٢). المشكاة (٥١٧٦) الصحيحة (٢٧٩٧) حسنه العلامة الألباني ـ رحمه الله.

عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: مَرَّ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نُعَالِجُ خُصًّا لَنَا؛ فَقَالَ: «مَا هَذَا؟!» فَقُلْنَا: قَدْ وَهَى فَنَحْنُ نُصْلِحُهُ. قَالَ: «مَا أَرَى الأَمْرَ إِلَّا أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ»[1].

الخُصُّ: بيت من خشب وقصب.

- **كيف يُرَبَّى الطفل على حب الدنيا؟!**

لا شك ـ كما سبق ـ أن القدوة لها كبير الأثر على الطفل، فمن شبَّ على شيء شاب عليه؛ ولذلك فإن المربي الحريص على الدنيا المتنافس في جمعها ينقل سلوكه وطريقته في التفكير إلى أبنائه، ويضع في قلوبهم قيمًا واتجاهات، وفي أذهانهم صورًا وتصورات عن الدنيا وأهلها وأحوالهم ومعيشتهم وأملاكهم وكفاحهم من أجلها، كل ذلك في ظل غياب التصور المقابل الذي يحقق التوازن في فهم وشخصية واتجاه وسلوك الطفل وهو الآخرة التي لم يتسع حقل اهتمامات المربي لوصف شيء من أحوالها وأهلها وطلابها؛ فرجحت كفة الدنيا في بناء شخصية واتجاهات وسلوك الطفل، ومال إليها معرضًا عن غيرها وهي الآخرة؛ لغيابها عن علمه وإدراكه مما أفسد التصور وانحرف بالاهتمام ومال بالطلب واقتصر بالرغبة على الفانية عُدُولًا عن الباقية.

إن تلك الطريقة في التربية تسبب خللًا في تكوين الطفل لاتجاهاته وَقِيَمِهِ وَمُيُولِهِ، فهو بذلك يعيش ليأكل ويلبس ويتنعم، ويدرس من أجل الوظيفة حتى يصير غنيًّا مثل أبيه، وهو يُخيَّر يوميًّا في نوع الطعام الذي يريده على الغداء، ولا يسمع إلا عن أنواع السيارات وأسعارها وخواصها والبلاد المنتجة لها، ولا يختلط إلا بمن يتحدثون عن الأراضي والعمارات والمزارع والشركات والأرصدة والبنوك، ولا يرتدي إلا أغلى الثياب، ولا يقتني إلا أحدث اللعب، ولا يشاهد إلا الوجهاء والأعيان، وإذا خلا بنفسه في غرفته وجد الشاشات والألعاب والدُّمى والأثاث والفرش بأغلى الأسعار ومن أحدث الطرز أو ما يسمى الموديلات، وإذا رجع من المدرسة حاصره صَفٌّ من المدرسين الخصوصيين لمساعدته

(١) رواه أبو داود (٥٢٣٥)، والترمذي (٢٣٣٥)، وقال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. صححه العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ «المشكاة» (٥٢٧٢)/ التحقيق الثاني.

على عمل الواجبات المدرسية هذا خارج وذاك داخل.

الكلُّ يسعى لكسب رضاه، يلقبونه في بعض البلاد المسلمة بالشيخ، وفي أخرى بالبيك الصغير، وفي ثالثة سيدي فلان، إذا رضِي أَسْعَدَ، وإذا غضب آلَمَ وطرد إلى خارج البلاد، لا يعرف لكبير حقًّا ولا وقارًا، ولا يحمل لضعيف شفقة ولا رحمة، لم يسمع عن الآخرة إلا كلمات عابرة.

فمن كان هذا حاله: فأين هو من الاتزان؟ وأين سلوكه من التوازن؟ وأين خُلُقه من حفظ مشاعر الآخرين؟ وأين العلو من هِمَّتِهِ؟ وأين سجاياه من التواضع؟ بل أين نشأته من الصلاح؟ وأين مصيره من الآخرة؟ وأين الدنيا من فؤاده؟ فإذا نما وترعرع في ظل تلك الثوابت وهذه المتغيرات، فأين موقعه من طاعة اللَّه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ؟

بل إذا كثرت تلك النماذج في مجتمع، فأين هذا المجتمع من التقدم والرقي؟ وأين ذلك المجتمع من التماسك؟

وأين هو من العزة؟ وأين هو من المنعة والقوة؟!

وأين هو من رضا الملك العلام؟ وهداية رب الأنام؟

٤ـ مصاحبةُ طلَّابِ الدُّنيا:

من أسباب التنافس المذموم مصاحبة طلاب الدنيا؛ حيث إن الرفقة تحتل موقعًا مرموقًا من اهتمامات المرء وسلوكه، وأحيانًا يتحدد بها مصيره في الدنيا والآخرة إذا لزمه الثبات على طبقة أو فئة معينة في الاختلاط.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»(١).

ولا ريب أن المرء يتأثر سلوكه بمن يصاحب وتتشابه سجاياه مع من يجالس؛ ولذلك

(١) رواه أحمد (٨٢١٢) واللفظ له، وأبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، وقال: حسن غريب. وَصَحَّحَهُ الألباني في «الصحيحة» (٩٢٧).

ينبغي حسن اختيار الصديق والجليس.

عَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ؛ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ؛ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**»[1].

عَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**»[2].

ذلك أن اهتمامات الناس تختلف؛ فتجد كل إنسان يختار لنفسه من الرفقاء ما ترتاح نفسه إليهم وتأنس بالجلوس معهم، فإذا كثرت الخلطة بينهم تقاربت الأفهام وائتلفت الطباع رويدًا رويدًا، وبالتالي تتشابه السلوكيات وتندمج السجايا.

وقد قيل:

ذو النقص يصحب مثله   والشكل يألف شكله
فاصحب أخا الفضل لكي   تقفو بفعلك فعله[3].

* * *

(١) رواه مسلم (٢٦٢٨).

(٢) البخاري (٣٣٣٦)، مسلم (٢٦٣٨).

(٣) هذا الشعر نقلًا عن التآخي والخلة، على هزاع وعدنان الرومي.

كيفية التربية على اختيار الرفقة الصالحة

من هنا كانت أهمية الرفقة الصالحة للصبي والصبية، بل يجب على كل مربٍّ أن يختار الرفقة الصالحة لأولاده، وأن يجالسهم ويراقب سلوكهم، ويسألهم عنهم وعن أحوالهم، فإذا وجد منهم خيرًا وأدبًا وحياءً شجعهم على مصادقتهم، وتعرف على أهليهم حتى تكتمل الصحبة الطيبة، وتبادل الزيارات والرحلات واللقاءات.

أما إذا وجد سوءًا وشرًّا ووقاحة وبذاءة وجرأة، فليعزل ولده عنهم، وليختر له البديل وليصمم ويتابع بحرص وصبر حتى يتأكد من فراقهم لولده، وإلا فإن التساهل أو التراخي في مثل تلك الأمور يكلف كثيرًا من المتاعب ويورث الندم بعد فوات الأوان، فإن الوقاية خير من العلاج.

وكذلك الأمر بالنسبة للأم مع بناتها، بل إن دورها أشد خطورة وأكثر مسئولية في متابعة صديقات بناتها؛ لأن صلاح سلوك البنت في المجتمعات المسلمة أضعاف سلوك الأولاد من حيث الأهمية والخطورة، وسمعتها في المجتمع إما ترفع الرأس وتجلب الفخر، أو تمرغه في التراب وتجلب العار، فليحذر كل مُرَبٍّ ومربية من رفقاء السوء على بناتهم وأولادهم، والله نسأل أن يحفظ بناتنا وأولادنا من كل سوء.

قال العلامة أحمد بن قدامة المقدسي:

«واعلم أنه لا يصلح للصحبة كل أحد، ولا بد أن يتميز المصحوب بصفات وخصال يُرْغَبُ بسببها في صحبته، وتشترط تلك الخصال بحسب الفوائد المطلوبة من الصحبة، وهي إما دنيوية؛ كالانتفاع بالمال والجاه، أو بمجرد الاستئناس بالمشاهدة والمحاورة، وليس ذلك غرضنا، وإما دينية...»(١).

ثم قال: «وفي الجملة فينبغي أن يكون فيمن تُؤْثِر صُحبته خمسُ خصال:

---

(١) منهاج القاصدين ـ المختصر ص: (١٠٢) ط المكتبة العصرية ١٤٢٣هـ.

أن يكون عاقلًا، حسن الخلق، غير فاسق، ولا مبتدع، ولا حريص على الدنيا؛ أما العاقل: فهو رأس المال، ولا خير في صحبة الأحمق؛ لأنه يريد أن ينفعك فيضرك، ونعني بالعاقل: الذي يفهم الأمور على ما هي عليه؛ إما بنفسه، وإما أن يكون بحيث إذا أُفْهِمَ فَهِمَ. وأما حسن الخلق: فلا بد منه؛ إذ رُبَّ عاقل يغلبه غضب أو شهوة فيطيع هواه، فلا خير في صحبته. وأما الفاسق: فإنه لا يخاف اللَّه، ومن لا يخاف اللَّه ـ تَعَالَى ـ لا تؤمن غالته، ولا يوثق به. وأما المبتدع: فيخاف من صحبته بسراية بدعته». انتهى [(١)].

٥ـ الغفلة والجهل:

من أسباب التنافس المذموم الجهل بحقيقة الدنيا، والغفلة عن الموت والحساب وما أعده اللَّه لعباده المؤمنين من نعيم مقيم في الآخرة وما أعده من عذاب أليم للكافرين والعاصين والطغاة من المنافقين، إن الجهل قاسم مشترك بين جميع أهل المعاصي والضلال.

قال ابن القيم ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «اللَّهم فعياذًا بك ممن قَصُر في العلم والدين باعُه وطالت في الجهل وأذى عبادك ذراعُه، فهو لجهله يرى الإحسان إساءة والسنة بدعه والعرف نُكرًا، ولظلمه يجزي بالحسنة سيئة كاملة وبالسيئة الواحدة عشرًا، قد اتخذ بطر الحق وغمط الناس سُلَّمًا إلى ما يحبه من الباطل ويرضاه، ولا يعرف من المعروف ولا ينكر من المنكر إلا ما وافق إرادته أو خالف هواه، يستطيل على أولياء الرسول وحزبه بأصغريه، ويجالس أهل الغيّ والجهالة ويزاحمهم بركبتيه، قد ارتوى من ماء أجن، وتضلع واستشرف إلى مراتب ورثة الأنبياء، ويتطلع ويركض في ميدان جهله مع الجاهلية، ويبرز عليهم بالجهالة فيظن أنه من السابقين...».

ثم قال وما أحسن ما قاله القائل:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله

وأجسامهم قبل القبور قبور

(١) منهاج القاصدين، كتاب آداب الصحبة والأخوة. المختصر ص(١٠٣).

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١).

وقال: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾(٢).

وقال نوح عليه السلام: ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾(٣).

وقد جعل ـ سُبْحَانَهُ ـ الجهل ظلمةً، فقال: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾(٤).

وجعل الجهل موتًا، فقال: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾(٥).

ولو لم يجهل المتنافسون في الدنيا حقيقتها لما تنافسوا من أجل الفانية وغفلوا عن الباقية.

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾(٦).

وَعَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ»(٧).

وقد قال الترمذي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عقب هذا الحديث: «وَمَعْنَى قَوْلِهِ: «مَنْ دَانَ نَفْسَهُ» يَقُولُ: حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يُحَاسَبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُرْوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ:

(١) الزمر: ٩.

(٢) الرعد: ١٩.

(٣) هود: ٤٦.

(٤) البقرة: ٢٥٧.

(٥) الأنعام: ١٢٢.

(٦) المؤمنون: ١١٥.

(٧) رواه الترمذي (٢٤٥٩)، وَصَحَّحَهُ الحاكم على شرط البخاري (١/٥٧). وهو في الضعيفة (٥٣١٩) ومعناه صحيح.

حَاسِبوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبوا، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ، وَإِنَّمَا يَخِفُّ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا. وَيُرْوَى عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ: لَا يَكُونُ الْعَبْدُ تَقِيًّا حَتَّى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ كَمَا يُحَاسِبُ شَرِيكَهُ مِنْ أَيْنَ مَطْعَمُهُ وَمَلْبَسُهُ».

وتُدفع الغفلة باليقظة واستحضار الخوف من عذاب اللَّه عند العبد وذلك بتقوية الإيمان بالجنة والنار.

قال ـ تعَالَى ـ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾(١).

قال الإمام أحمد بن قدامة المقدسي «في منهاج القاصدين»: «وزوال الغفلة يحصل بالتذكر والتفكر في عذاب الآخرة، ويزيد بالنظر إلى الخائفين ومجالستهم أو سماع أخبارهم». انتهى.

ثم نقل قول ذي النون: «خوف النار عند خوف الفراق كقطرة في بحر، ولعامة الناس حظ من هذا الخوف، ولكن بمجرد التقليد فهو يضاهي خوف الصبي من الحيَّة تقليدًا لأبيه؛ فلذلك يضْعُفُ، فإن العقائد التقليدية ضعيفة في الغالب إلا إذا قويت بمشاهدة أسبابها المولدة لها على الدوام، وبالمداومة على مقتضاها في تكثير الطاعات واجتناب المعاصي، فإذا ارتقى العبد إلى معرفة اللَّه ـ تعَالَى ـ خَافَهُ بالضرورة، ولا يحتاج إلى علاج يجلب الخوف إلى قلبه، بل يخاف بالضرورة»(٢).

قلت: وكذلك ـ أيضًا ـ استحضار عظمة اللَّه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ، والتفكير في أسمائه وصفاته وقدرته يستجلب الخوف.

* * *

---

(١) آل عمران: ٣٠.

(٢) مختصر منهاج القاصدين، كتاب الرجاء والخوف، ص ٣١١، طبعة المكتبة العصرية.

علاج التنافس المذموم

١- العلم بحقيقة الدنيا:

قال - تَعَالَى -: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾[1].

قال الإمام أحمد بن قدامة المقدسي - رَحِمَهُ اللَّهُ - في «منهاج القاصدين»: «... قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟»**[2]، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: **«الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»**[3]، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: **«لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»**[4].

ثم نقل كتاب الحسن إلى عمر بن عبدالعزيز كما يلي: «أما بعد، فإن الدنيا دار ظعن ليست بدار مقام، وإنما أنزل إليها آدم عقوبة؛ فاحذرها يا أمير المؤمنين، فإن الزاد منها تركها، والغنى فيها فقرها، تذل من أعزها وتفقر من جمعها؛ كالسم يأكله من لا يعرفه وهو حتفه، فاحذر هذه الدار الغرارة الخالية الخداعة... سرورها مشوب بالحزن، وصفوها مشوب بالكدر... زواها اللَّه عن الصالحين اختيارًا، وبسطها لأعدائه اغترارًا، أيظن المغرور بها، المقتدر عليها أنه أكرم بها؟ ونسي ما صنع اللَّه بمحمد ﷺ حين شد على بطنه الحجر، واللَّه ما أحد من الناس بسط له في الدنيا فلم يخف أن يكون قد مُكر به إلا كان قد نقص عقله وعجز رأيه، وما أمسك عبد فلم يظن أنه قد خُير له فيها إلا نقص عقله وعجز رأيه».

---

(١) الحديد: ٢٠.

(٢) رواه مسلم (٢٨٥٨).

(٣) رواه مسلم (٢٩٥٦).

(٤) رواه الترمذي، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ. (٢٣٢٠)».

انتهى[(١)].

وقال أيضًا ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ «ابن قدامه»:

«... وقال عيسى ﷺ: الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها. هذا مَثَلٌ واضح فإن الحياة الدنيا معبر إلى الآخرة، والمهد هو الركن الأول على أول القنطرة واللحد هو الركن الثاني على آخر القنطرة، ومن الناس من قطع نصف القنطرة، ومن الناس من قطع ثلثيها، ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها، وكيفما كان فلا بد من العبور، فمن وقف يبني على القنطرة ويزينها وهو يُستحث للعبور عليها فهو في غاية الجهل والحمق. وقيل: مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربًا ازداد عطشًا حتى يقتله». انتهى[(٢)].

وبعد هذا أخي المربي فلا مجال للتنافس فيها إلا لأصحاب الغفلة ورواد الجهالة وصرعى الغرور، فالأمل فيها مقطوع، ونعيمها كاذب مجدوع، ودوام صفوها بغية كل مخدوع، وأمدها قصير، وعاشقها ذليل وقلبه كسير، وغنيها فقير، وسرورها قليل، وكدرها كثير.

وقال ابن قدامة ـ أيضًا ـ: «اعلم أن الدنيا أعيان موجودة، للإنسان فيها حظ وهي الأرض وما عليها، فإن الأرض مسكن الآدمي، وما عليها ملبس ومطعم ومشرب ومنكح، وكل ذلك علف لراحلة بدنه السائر إلى اللَّه ﷻ، فإنه لا يبقى إلا بهذه المصالح، كما لا تبقى الناقة في طريق الحج إلا بما يصلحها، فمن تناول منها ما يصلحه على الوجه المأمور به مُدح، ومن أخذ منها فوق الحاجة يكتنف الشَّرَه وقع في الذم، فإنه ليس للشَّرَه في تناول الدنيا وجه؛ لأنه يخرج عن النفع إلى الأذى، ويشغل عن طلب الأخرى؛ فيفوت المقصود، ويصير بمثابة من أقبل يعلف الناقة وَيَرِدُ لها الماء ويغير عليها ألوان الثياب وينسى أن الرفقة قد سارت فإنه يبقى في البادية فريسة للسباع هو وناقته»[(٣)]. انتهى.

---

(١) مختصر منهاج القاصدين، كتاب ذم الغضب والحقد والحسد، باب في ذم الدنيا صـ١٩٦ـ١٩٧، ط المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت

(٢) مختصر منهاج القاصدين صـ١٩٩ط المكتبة العصرية.

(٣) مختصر منهاج القاصدين ص٢٠٠.

قال أبو حازم سلمة بن دينار الأعرج: «نعمة اللَّه فيما زوى عني من الدنيا أفضل من نعمته فيما أعطاني منها، إني رأيته أعطاها قومًا فهلكوا».

«رأيت الدنيا شيئين؛ شيئًا هو لي فلن أعجله قبل أجله، ولو طلبته بقوة السماوات والأرض، وشيئًا منها هو لغيره، فذلك ما لم أنله فيما مضى، ولا أرجوه فيما بقي، يمنع الذي لغيري مني كما يمنع الذي لي من غيري، ففي أي هذين أفني عمري؟»(١).

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لسعد عندما فتح اللَّه عليه: «أما بعد، فأعرض عن زهرة ما أنت فيه حتى تلقى الماضين الذين دفنوا في أسمالهم لاصقة بطونهم بظهورهم، ليس بينهم وبين اللَّه حجاب، لم تفتنهم الدنيا ولم يفتنوا بها». الأسمال: الثياب البالية.

٢- قصر الأمل في الدنيا:

لو علم المسلم أن الدنيا عمرها قصير وأن أجله مجهول وأنفاسه معدودة وأيامه محدودة بيقين لا ريب فيه، لَمَا شغل نفسه بطلبها، والتنافس فيها، وَلَا أقلق نفسه بالحرص على ما حصَّل منها والخوف على ضياعه أو نقصه، وَلَا عَلَّقَ أمله بالاستزادة من حظوظها، وَلَانْشَغَلَ عنها بآخرته الباقية، وَلَاسْتَعَدَّ لها بالأعمال الصالحة.

قال - تَعَالَى -: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ١٨٥﴾(٢).

وقال - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ﴾(٣).

وقال - جَلَّ شَأْنُهُ -: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾(٤).

(١) نقلًا عن «آفات على الطريق» للدكتور/ سيد محمد نوح.
(٢) آل عمران: ١٨٥.
(٣) لقمان: ٣٤.
(٤) النحل: ٦١.

وقال ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾(١).

وقال ـ تعَالَى ـ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾(٢).

عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: **«كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»**. وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: **«إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»**(٣).

وَقَالَ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ **«اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»**(٤).

قال الإمام أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ:

«... فينبغي للحازم أن يعمل على الحزم، والحزم تدارك الوقت وترك التسويف والإعراض عن الأمل، فإن المخوِّف لا يؤمن، والفوات لا يُبعث، وسبب كل تقصير في خير أو ميل إلى شر طول الأمل».

ثم قال: «وقال بعض السلف: أنذركم سوف، فإنها من جنود إبليس، ومثل العامل على الحزم والساكن لطول الأمل؛ كمثل قوم في سفر، فدخلوا قرية فمضى الحازم فاشترى ما يصلح لتمام سفره وجلس متأهبًا للرحيل، وقال المفرط: سأتأهب فربما أقمنا شهرًا. فضرب بوق الرحيل في الحال؛ فاغتبط المتحرِّز وَاعْتَبَطَ الآسفُ المفرِّطُ، فهذا مثل الناس منهم المستعد المستيقظ، فإذا جاء ملك الموت لم يندم، ومنهم المغرور المسوِّف يتجرع مرير الندم وقت الرحلة...». انتهى(٥).

---

(١) الأنعام: ٣٢.

(٢) المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣.

(٣) رواه البخاري (٦٤١٦).

(٤) وإسناده حسن كما قال الحافظ في «الفتح».

(٥) تلبيس إبليس، لابن الجوزي.

قال ـ تعالَى ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[١].

وقال ـ تعالَى ـ: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾[٢].

ولقد أحسن القائل:

إن لله عبادًا فطنا — طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

نظروا فيها فلما علموا — أنها ليست لحيٍّ وطنا

جعلوها لجَّة واتخذوا — صالح الأعمال فيها سُفُنَا

ولو علم طالب الدنيا بلذة الآخرة ولذة الدنيا؛ لمنعه الفارق الكبير من الانشغال بطلب الدنيا، ولَقَصُرَ أمله فيها، ولزهد في لذتها المحدودة ونعيمها المنقطع المشوب بالكدر.

قال ابن القيم ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ:

«اللذة من حيث هي مطلوبة للإنسان بل ولكل حي فلا تذم من جهة كونها لذة، إنما تذم ويكون تركها خيرًا من نيلها وأنفع إذا تضمنت فوات لذة أعظم منها وأكمل، أو أعقبت ألمًا حصوله أعظم من ألم فواتها، فها هنا يظهر الفرق بين العاقل الفطن والأحمق الجاهل، فمتى عرف العقل التفاوت بين اللذتين والألمين وأنه لا نسبة لأحدهما إلى الآخر هان عليه ترك أدنى اللذتين لتحصيل أعلاهما، واحتمال أيسر الألمين لدفع أعلاهما.

وإذا تقررت هذه القاعدة ـ فلذة الآخرة أعظم وأدوم ولذة الدنيا أصغر وأقصر، وكذلك ألم الآخرة وألم الدنيا، والمعول في ذلك على الإيمان واليقين، فإذا قوي اليقين وباشر القلب آثر الأعلى على الأدنى في جانب اللذة، واحتمل الألم الأسهل على الأصعب ـ والله المستعان»[٣].

---

(١) المؤمنون: ٩٩، ١٠٠.

(٢) المؤمنون: ١١٢- ١١٥.

(٣) الفوائد لابن القيم ص(٢٤٩).

❑ كيف تربي طفلك على تقصير الأمل في الدنيا:

يتم ذلك باتباع ما يلي:

(١) تعويده على الاقتصاد في الإنفاق:

حتى لا يطلق لنفسه العنان في الاستهلاك والطلب؛ فينشأ معلقًا قلبه بنعيم الدنيا.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾[١].

وقال ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾[٢].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا؛ فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ»**[٣].

والمقصود بالاقتصاد في الإنفاق: هو الاعتدال دون إسراف ولا تقتير، فالمربي قدوة لأولاده وبناته في ذلك، فإذا أدى الواجب الذي عليه في الإنفاق على أسرته متخذًا طريق الاعتدال والتوسط في جميع مجالات الإنفاق من مطعم وملبس ومسكن وغير ذلك أفلح.

ففي المطعم: ينبغي ألا يشتري الطعام بكميات كثيرة زائدة عن حاجتهم، ثم يلقي الباقي في سلات المهملات، وكذلك لا ينبغي تنويع الأطعمة بصورة مبالغ فيها حتى لا يفقد الطفل تقديره للنعم، ويهجر الحرص على شكرها؛ بصيانتها من التلف أو الإهدار كما يفعل ذلك كثير من الناس، وحتى لا يعتاد الأطفال كثرة الأكل ثم يحتاجون بعد ذلك

---

(١) الإسراء: ٢٩.

(٢) الفرقان: ٦٧.

(٣) أخرجه مسلم (١٧١٥).

لإنقاص الوزن، وتقل بل تصعب حركتهم؛ فتهاجمهم أمراض السمنة.

وكذلك في شراء الملابس: لا ينبغي الإسراف والمبالغة في اقتناء الملابس كثيرة العدد الزائدة عن حد التوسط والاعتدال، ومن حيث النوعية ينبغي ترك المبالغة في حيازة ما ارتفع ثمنه بصورة باهظة، مع نبذ الزحف وراء الموضة وتقليد الفاسقين والكفار والتكالب على ملابسهم؛ فيزيد الطلب وترتفع الأسعار.

كما أنه ليس ضروريًّا السفر إلى الخارج وإضاعة الأموال في بلاد الكفار؛ فيقوى اقتصادهم ويضعف اقتصادنا، وناهيك عن حمل الأوزار والمنكرات وفساد القلوب وسفول الأخلاق الذي يعود به المسلمون من تلك البلاد.

أما عن أثر الإسراف على الطفل: فإنه إذا اعتاد على مستوى معيشي معين صعب عليه جدًّا أن يتنازل عن ذلك المستوى، وتعلق بمظاهر الفخفخة والترف والبذخ؛ فينشأ ضعيفًا أمام رغباته ومبتلى بالرغبة في الحصول على كل جديد وغالٍ، خَوَّارًا في المحن التي لا بد منها ولا مفرَّ، فإن النعم لا تدوم، وقد تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن في إحدى رحلات الحياة، وكذلك البخل والتقتير مذمومان، والشاهد أن الاقتصاد في الإنفاق يحمي الطفل من التعلق بزينة الدنيا وزخرفها، ويدفع عنه حبها والحرص على جمعها، ويسهل عليه تقصير الأمل فيها، ويفسح مكانًا للآخرة في حقل اهتماماته؛ فيكسبه اتزانًا في سلوكه وتوازنًا واعتدالًا في فَهْمِهِ وأمله وتوسطًا، حتى إذا كبر واتسعت مداركه وتعلم تقلصت مساحة الدنيا من حقل اهتماماته واتسعت مساحة الآخرة الباقية، فإن لم يصبح زاهدًا فعلى الأقل يصير غير طويل الأمل في الدنيا الفانية.

كذلك يمكن أن نربيه على الاعتدال في الإنفاق بأن يُعْطَى مصروفًا لكي يتدرب على حسن التصرف في المال، وَيُرَاقَبَ فإذا لوحظ عليه الإسراف يكبح جِمَاحَهُ، وإذا لوحظ عليه البخل يؤمر بالإنفاق والعطاء لإخوانه وزملائه، وبالصدقة على الفقراء والمساكين، ويتم التدرج معه من المصروف اليومي إلى الأسبوعي إلى الشهري على حسب عمره وتمييزه وخبرته المكتسبة من مربيه وممن حوله.

كذلك يُعوَّد الادخار والتجميع من غير تقتير في الإنفاق على الضروريات، فإذا اجتمع عنده مبلغًا من المال حاورناه فيما يريد أن يشتريه وما يجب، بالإقناع والتوجيه وبدون قهر ولا تعنيف ولا تنقيص حتى تتزن شخصيته وتكتمل رزانته، وحتى يشعر أن له رأيًا يُحْتَرَم؛ فيَحْتَرِم ذاته، بدلًا من احتقارها بعد قهره، أو التنقيص من قدره بكلمات، أو تسلط؛ مثل: «إنك ما زلت صغيرًا» وغيرها، أو تهديده بمنع المصروف عنه، أو تهديده بالضرب وغير ذلك، فالأولى إقناعه بما ينبغي وما يصح في الشراء وغيره.

(٢) التربية على القناعة

وتتم تربية الطفل على تقصير الأمل في الدنيا كذلك:

بتربيته على القناعة، ونبذ الحرص والطمع المسببان لحب الدنيا وطول الأمل في جمعها والتزود من حطامها.

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾[1].

وذلك بأن يُعَلَّم ويُرَبَّى على الرضا بما قسم اللَّه له من طعام أو لباس أو مسكن أو مركب أو مال أو لعبة أو أدوات مدرسية وغيرها، ويعوَّد بالرفق والحكمة والصبر على غض الطرف عما بأيدي غيره من طعام أو شراب أو لباس أو لعب أو مال أو أدوات مدرسية، ويُفَهَّم أن اللَّه فضل الناس بعضهم على بعض في الرزق، أو جعلهم درجات، منهم الغني، ومنهم الفقير، ومنهم متوسط الحال، ومنهم مستور الحال، عدلًا منه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ وفضلًا، فقد أخذ مِنْ هذا المال وأعطاه نعمًا أخرى كثيرة قد حُرم منها بعض الأغنياء، فليس المال وحده هو الرزق، فالذكاء رزق، والصحة رزق، والهداية رزق، وسلامة الأعضاء رزق.. وهكذا فما يظلم ربنا أحدًا، كما يُفَهَّم أن كثرة المال ليست دليلًا على رضا اللَّه عن المرء أو إكرامًا، وإنما كثرة المال فتنة، قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ

(١) طه: ١٣١.

أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾... الآية؛ لأنه سيحاسب المرء عن ماله فيم أنفقه ومن أين اكتسبه؟! وهو ابتلاء للغني هل يشكر نعمة اللَّه ويصرفه في المصارف الشرعية أم يجحد فيصرفه في معصية اللَّه ويسرف ويبذر؟ وكذلك الفقر وقلة المال فتنة وابتلاء.. هل يصبر الفقير؟ هل سيحمد ربه ويرضى بما قسم اللَّه له أم سيسعى لحسد غيره أو الحصول على المال من طرق محرمة بالسرقة أو النصب والاحتيال أو الرشوة؟ قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾[1].

وقال ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾[2].

وبذلك يفهم أن القناعة والرضا بما قسم اللَّه تريح المرء من إثم التسخط وازدراء نعم اللَّه عليه، وكذا تريح الصدر وتشرحه وتفرغه من هموم الحرمان والحسرة، وتبعد الحزن وألم الحاجة.

فإذا نما ونشأ على تلك الفهوم صار مصونًا من استكثار رزق غيره واحتقار رزقه، محصنًا ضد الحسد والطمع والحرص والجري خلف الغِنَى والمال، ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ»**[3].

ويحسن بالوالدين أن يعوِّدا وَلَدَهُما على القناعة وعدم الطمع فيما عند أخيه من طعام أو مال أو ملابس ـ كما سبق ـ، وكذلك إذا طلب أحد الأولاد مالًا زيادة عن المعتاد يناقشه المربي فيما يريد أن يشتري بهذا المال، ويرجح المصلحة بالعطاء أو المنع، ويعوِّد الطفل ألا يضع طعامًا أكثر من حاجته، وألا يأكل من أمام غيره، وألا يطلب ما زاد عن حاجته،

(١) البقرة: ١٥٥

(٢) الأنبياء: ٣٥.

(٣) متفق عليه: البخاري (٦٤٣٩) واللفظ له، ومسلم (١٠٤٨، ١٠٥٠).

ويُدَرَّب على حفظ حق غيره من إخوانه أو غيرهم في الطعام والحلوى والمال، فلا يأكل ما ليس له، ولا يشرب ما خصَّ غيره، ولا يستعمل ما استحق لغيره إلا بالإذن، ولا ينفق مال غيره بل يحفظه حتى يسلمه لصاحبه أو يستأذن منه في الإقراض، فإن أذن له فَخَيْرٌ، وإن لم يأذن يترك الإلحاح، ويحذر على نفسه من الغضب؛ لأن صاحب المال أحق به، ولا يحل أخذه إلا بالإذن والرضا، ويُعَلَّم الحديث: «**أَلَا لَا تَظْلِمُوا، أَلَا لَا تَظْلِمُوا، أَلَا لَا تَظْلِمُوا؛ إِنَّهُ لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ إِلَّا بِطِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ...**»(١).

كذلك يربي الطفل على ألا ينظر إلى طعام غيره، ولا يحضر وليمة لم يُدع إليها، ولا يقبل مالًا بغير وجه حق، ولا يقبل مساعدة مالية أو صدقة إلا بإذن والديه ـ إن كانوا بحاجة إلى المال.

٣ـ الإقبال على الآخرة:

يُعالجَ التنافس على الدنيا بدوام تذكر الآخرة، والإقبال عليها، والتوجه إليها، والتزود لها، وأن يجعلها المرء غايته، وأن يعتبر الدنيا وسيلته إليها.

قال ابن قدامة ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «واعلم أن من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة اليقين أصبح بالضرورة مريدًا لها زاهدًا في الدنيا، فإن كان معه خرزة فرأى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة في الخرزة، فإذا قيل له: بعها بالجوهرة؛ أسرع في ذلك»(٢).

❑ ويتم ذلك له بما يلي:

أولًا: الإخلاص: للَّه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ وحده:

وعدم تعلق القلب بغيره ـ سُبْحَانَهُ ـ، ودوام مراقبته والسعي لطاعته وكسب رضاه، وهو القائل ـ جَلَّ شَأْنُهُ ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾(٣).

(١) رواه أحمد (٢٠١٧٢).
(٢) منهاج القاصدين، فصل في رياضة الصبيان ـ المختصر ١٦٥.
(٣) الذاريات: ٥٦ـ ٥٧.

فرضاه - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - في تحقيق العبودية في ذات المسلم؛ باستكمال مقام الذل والانقياد لجَنَابِهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وصرف القلب عن كل ما يشغله عن ربه، وعن كل ما يشغله عن العبودية له وحده، فهو النافع الضار، قال - تَعَالَى -: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»**(٢).

قال الإمام ابن قيم الجوزية في «مفتاح دار السعادة»:

«... فإن تمام العبودية هو بتكميل مقام الذل والانقياد، وأكمل الخلق عبودية أكملهم ذلًّا للَّه وانقيادًا وطاعة، والعبد ذليل لمولاه الحق بكل وجه من وجوه الذل، فهو ذليل لعزِّه، وذليل لقهره، وذليل لربوبيته فيه وتصرُّفه، وذليل لإحسانه إليه وإنعامه عليه، فإن من أحسن إليك فقد استعبدك وصار قلبك معبدًا له وذليلًا، تعبَّد له لحاجته إليه على مدى الأنفاس في جلب كل ما ينفعه ودفع كل ما يضرُّه»(٣).

فاحرص أخي المربي على تعليم ولدك كيف يراقب قلبه ويجعل أموره كلها بينة صالحة، فهو يأكل لكي يستعين بقوته على طاعة اللَّه، وهو يتعلم لكي ينقل هذا العلم للمسلمين وينفعهم به، وهو يحب هذا؛ لأنه مطيع للَّه، ويبغض هذا، لأنه عاص للَّه، وهكذا.

ثانيًا: التوبة إلى اللَّه - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -:

ولما كانت العبودية التامة تتحقق بتكميل مقام الذل والانقياد؛ فإن الذل يُستكمل بتحقيق نوعيه في القلب؛ وهما: ذل المحبة، وذل المعصية.

«فَبِذُلِّ المحبة يُستخرج من قلب العبد المحب لربه أنواع التقرب والتودد والتملق والإيثار والرضا والحمد والشكر والصبر والتندم وتحمل العظائم، وَبِذُلِّ المعصية يتحقق للقلب

---

(١) البينة: ٥.

(٢) رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٣) مفتاح دار السعادة، فصل تمام العبودية ص٣٥٧ ط المكتبة العصرية الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

الانكسار لذي الجلال والإكرام والعفو والمغفرة والإحسان، وَبِذُلّ المعصية يُستخرج من قلب العبد الصدود والإعراض والهجر، وبه تفنى الرسوم، وتتلاشى النفس، وتضمحل القوى، وتبطل الدعاوى، وتذهب الرعونات، وتطيح الشطحات، ويُمْحَى من القلب واللسان أنا وأنا، وبهذين النوعين من الذُّل - ذل المحبة، وذل المعصية - يَشْهَدُ القلبُ غايةَ ذُلِّهِ وانكساره، وعزة محبوبه وجلاله وعظمته وقدرته وغناه»[1].

قال - تَعَالَى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[2].

«أي توبة صادقة جازمة تمحو ما قبلها من السيئات، وتلمُّ شَعَثَ التائب وتجمعه، وتكفه عما كان يتعاطاه من الدناءات»[3].

وقال - سُبْحَانَهُ - ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[4].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾[5].

عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ** ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»[6].

---

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم، بتصرف كثير، فصل تمام العبودية صـ٣٥٧ ط المكتبة العصرية صيدا - بيروت

(٢) التحريم: ٨.

(٣) شعيب الأرناءوط.

(٤) الزمر: ٥٣.

(٥) النساء: ١٧، ١٨.

(٦) رواه مسلم (٢٧٥٩).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»(١).

فاحرص أخي المربي على تدريب ولدك على التوبة، وإذا عصى اللَّه بمثل الكذب أو تأخير الصلاة أو أذى الغير أو السب أو السخرية أو أخذ ما ليس من حقه، فهنا تأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين يستغفر فيهما ربه أثناء السجود ويتباكى للَّه ـ جَلَّ شَأْنُهُ ـ حتى يعفو عنه ولا يعذبه بهذه المعصية، فإذا تكرر منه العصيان ثم التوبة ثم النسيان ـ الذي هو من طبيعة الصغار ـ، ثم العصيان ثم التوبة بهذا التكرار يرتبط العصيان في سلوكه بالصلاة والاستغفار والبكاء في السجود؛ فيتكون عنده الضمير والنفس اللوامة؛ فينشأ يقظًا ـ بإذن اللَّه ـ رجّاعًا توّابًا أوّابًا غير غافل ولا معرض عن أمر اللَّه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ.

ثالثًا: التفكر:

إن التفكر يورث المسلم الإقبال على الآخرة، والزهد في الدنيا، ويقربه من ربه ـ سُبْحَانَهُ ـ؛ ومنه:

● **التفكر في خلق اللَّه:** قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾(٢).

● **التفكر في الموت:** قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾(٣).

قال ابن القيم ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «قالوا: وقد دلت على هذا الأحاديث الدالة على نعيم

(١) رواه البخاري (٦٣٠٧).

(٢) آل عمران: ١٩٠ـ ١٩١.

(٣) آل عمران: ١٨٥.

الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها اللَّه إلى أجسادها، ولو ماتت الأرواح لانقطع عنها النعيم والعذاب». انتهى[١]..

ثم قال في تفسير قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾[٢].

«تفسير هذه الآية التي في البقرة، وهي قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢٨﴾[٣]. فكانوا أمواتًا وهم نُطَفٌ في أصلاب آبائهم وفي أرحام أمهاتهم، ثم أحياهم بعد ذلك، ثم أماتهم، ثم يحييهم يوم النشور...».

ثم قال: ففي الحديث الصحيح: «**النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ**»[٤].

فهذا صعق في موقف القيامة إذا جاء اللَّه لفصل القضاء وأشرقت الأرض بنوره، فحينئذٍ تصعق الخلائق كلهم، قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ۝٤٥﴾[٥].

وقد رجح العلامة ابن القيم ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ أن هذا الصعق يحدث بعد البعث والنشور عند مجيء اللَّه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ لفصل القضاء، وأنه صعق غشية، وليس بصعقة الموت التي تحدث عند النفخة الأولى، وقد حدث مثل هذا الصعق لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم الطور عندما قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ فصعق عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما تجلى ربنا للجبل فجعله دكًّا وخر موسى صعقًا، وهي صعقة فزع لا صعقة موت.

فانظر أخي المتفكر إلى قوة الخالق، فبمجرد التجلي للجبل جعله دكًّا وخر موسى صعقًا

(١) كتاب الروح، فصل هل تموت الروح أم الموت للبدن وحده، صـ٥٠ط المكتبة العصرية
(٢) غافر: ١١.
(٣) البقرة: ٢٨
(٤) متفق عليه: البخاري (٣٣٨٩)، ومسلم (٢٣٧٣).
(٥) الطور: ٤٥.

مغشيًّا عليه من الفزع، وكذلك عندما تُصعق الخلائق فزعًا عند مجيئه - جَلَّ شَأْنُهُ - لفصل القضاء؛ فيسقطون مغشيًّا عليهم من الفزع مصعوقين صعقة الغشيان والفزع.

فكيف نغفل عنه - سُبْحَانَهُ - وهذا شأنه؟! وكيف تغمر المعاصي مجتمعاتنا ثم لا نبالي؟! قال - تَعَالَى -: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[1].

إن هذا التفكر وقاية لمن اعتبر، ويقظة لمن أبصر وتبصر، فمهما طال الزمان وغشينا النسيان فليس للفوت مجال ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

● **التفكير في عذاب القبر:** قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «تَنَعَّمُ النَّفْسُ وتعذب منفردة عن البدن، وتنعم وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها؛ فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين»[3].

وقال ابن القيم - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «فلتعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين»[4].

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ؛ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً، فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً؛ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟! قَالَ: «**لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**»[5].

---

(١) الزمر: ٦٧. (٢) يوسف: ٢١.

(٣) ص: (٧١) نقلًا عن «الروح»، لابن القيم.

(٤) الروح، لابن القيم ص (٧٣)، ط: المكتبة العصرية.

(٥) متفق عليه: البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢).

وقد أورد ابن القيم ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في كتاب «الروح» حكاية عجيبة لاستماع الدابة عذاب القبر بمرأى الناس، فقال: «وقد قال عبدالحق الإشبيلي: حدثني الفقيه أبو الحسن بن برجان ـ وكان معه أهل العلم والعمل ـ أنهم دفنوا ميتًا بقريتهم في شرق إشبيلية، فلما فرغوا من دفنه قعدوا ناحيةً يتحدثون ودابةٌ ترعى قريبًا منهم، فإذا بالدابة قد أقبلت مسرعة إلى القبر فجعلت أذنها عليه كأنها تسمع، ثم ولت فارة، فَعَلَتْ ذلك مرة بعد مرة أخرى، قال أبو الحكم: فذكرت عذاب القبر وقول النبي ﷺ: «**إِنَّهُمْ لَيُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ**»[١].

ذكر لنا هذه الحكاية ونحن نسمع عليه كتاب مسلم، لما انتهى القارئ إلى قول النبي ﷺ: «**إِنَّهُمْ لَيُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ**» وهذا السماع واقع على أصوات المعذبين»[٢].

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: دَخَلَتْ عَلَيَّ عَجُوزَانِ مِنْ عُجُزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَتَا: إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ. قَالَتْ: فَكَذَّبْتُهُمَا، وَلَمْ أُنْعِمْ أَنْ أُصَدِّقَهُمَا، فَخَرَجَتَا، وَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ عَجُوزَيْنِ مِنْ عُجُزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ دَخَلَتَا عَلَيَّ فَزَعَمَتَا أَنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ. فَقَالَ: «**صَدَقَتَا، إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ**» قَالَتْ: فَمَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ فِي صَلَاةٍ إِلَّا يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»[٣].

وقد ذكر ابن القيم ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ ما يلي: «فالمصلوب، والحرق، والغرق، وأكيل السباع والطيور، له من عذاب البرزخ ونعيمه وقسطه الذي تقتضيه أعماله... حتى لو علق الميت على رءوس الأشجار في مهاب الريح لأصاب جسده من عذاب البرزخ حظه ونصيبه، ولو دفن الرجل الصالح في آتون من النار لأصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه ونصيبه وحظه، فيجعل اللَّه النار على هذا بردًا وسلامًا وعلى ذلك نارًا وسمومًا، فعناصر العالم ومواده منقادة لربها وفاطرها وخالقها يصرفها كيف يشاء، ولا يستعصي عليه منها شيءٌ

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٣/٢٨١، ٢٨٢) (١٠٠٠) عن أبي سعيد الخدري.

(٢) الروح ص٧٥ بالمكتبة العصرية بيروت ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٢٣هـ.

(٣) أخرجه مسلم (٥٨٦).

أراده...». انتهى[1].

واستكمالاً للفائدة وجدت من المفيد ذكر الأسباب الموجبة للعذاب في القبر والأسباب المنجية منه:

❑ **أسباب العذاب:**

قال ابن القيم ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «إن أسباب عذاب أصحاب القبور من وجهين مجمل ومفصل:

المجمل: من أغضب اللَّه وأسخطه في هذه الدار، ثم لم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب اللَّه وسخطه، فمستقل ومستكثر ومصدق ومكذب.

المفصل:

- الرجلان اللذان رآهما ﷺ يعذبان في قبريهما، يمشي أحدهما بالنميمة، ويترك الآخر الاستبراء من البول.
- الذي ضُرب سوطًا امتلأ القبر عليه به نارًا لكونه صَلى صلاة واحدة بغير طهور، ومر على مظلوم فلم ينصره. والحديث عن سمرة في البخاري.
- تعذيب من يَكْذِبُ الكذبة فتبلغ الآفاق.
- تعذيب من يقرأ القرآن ثم ينام عنه بالليل ولا يعمل به بالنهار.
- وتعذيب الزناة والزواني.
- تعذيب آكل الربا كما شاهدهم النبي ﷺ في البرزخ.
- رضخ رءوس أقوام بالصخر؛ لتثاقل رءوسهم عن الصلاة.
- الذين يسرحون بين الضريع والزقوم؛ لتركهم زكاة أموالهم.

(١) الروح: ص: ١٠١.

- الذين تقرض شفاههم بمقاريض من حديد؛ لقيامهم في الفتن بالكلام والخطب.
- وتعذيب مَنْ بطونهم أمثال البيوت من أكلة الربا.
- وتعذيب أكلة أموال اليتامى، الذين تفتح أفواههم فيلقمون الجمر حتى يخرج من أسافلهم.
- تعذيب الزواني المعلقات من ثديهن.
- تعذيب المغتابين الذين تقطع جنوبهم ويطعمون لحومهم.
- وتعذيب مَنْ يمزقون أعراض الناس؛ حيث يخمشون وجوههم وصدورهم بأظفار لهم من نحاس.
- تعذيب صاحب الشملة التي غلَّها من المغنم؛ حيث أنها تشتعل عليه نارًا في قبره؛ هذا وله فيها حَقٌّ، فكيف بمن ظلم غيره فيما ليس له فيه حَقٌّ؟!.
- فعذاب القبر من معاصي القلب والعين والأذن والفم واللسان والبطن والفرج واليد والرجل والبدن كله، فالنمام، والكذاب، والمغتاب، وشاهد الزور، وقاذف المحصن، والماضي في الفتنة، والداعي إلى بدعة، والقائل على اللَّه ورسوله ما لا علم له به، والمجازف في كلامه، وآكل الربا، وآكل أموال اليتامى، وآكل السحت من الرشوة والبرطيل ونحوهما، وآكل مال أخيه المسلم بغير حق أو مال المعاهد، وشارب المسكر، وآكل لقمة الشجرة الملعونة، والزاني، واللوطي، والسارق، والخائن، والغادر، والمخادع، والماكر، وآخذ الربا ومعطيه وكاتبه وشاهداه، والمحلِّل والمحلَّل له، والمحتال على إسقاط فرائض اللَّه وارتكاب محارمه، ومؤذي المسلمين ومتتبع عوراتهم، والحاكم بغير ما أنزل اللَّه، والمفتي بخلاف ما شرعه اللَّه، والمعين على الإثم والعدوان، وقاتل النفس التي حرم اللَّه، والملحد في حرم اللَّه، والمعطل لحقائق أسماء اللَّه وصفاته والملحد فيها، والمقدم رأيه وذوقه وسياسته على سنة

رسول الله ﷺ، والنائحة والمستمع إليها، وَنَوَّاحُو جهنم؛ وهم: المغنون الغناء الذي حرم الله ورسوله والمستمع إليهم، والذين يبنون المساجد على القبور ويوقدون عليها القناديل والسرج، والمطففون في استيفاء ما لهم إذا أخذوه وهضم ما عليهم إذا بذلوه، والجبارون، والمتكبرون، والمراءون، والهمّازون، والطاعنون على السَّلف، والذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرافين فيسألونهم ويصدقونهم، وأعوان الظلمة الذين قد باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم، والذي إذا خَوَّفْتَهُ بالله وَذَكَّرْتَهُ به لم يَرْعَوِ ولم ينزجر فإذا خَوَّفْتَهُ بمخلوق مِثْلِهِ خاف وَارْعَوَى وَكَفَّ عما هو فيه، والذي يُهْدَى بكلام الله ورسوله فلا يهتدي ـ ولا يرفع به رأسًا، فإذا بلغه عمن يحسن به الظن ممن يصيب ويخطئ عَضَّ عليه بالنواجذ ولم يخالفه، والذي يُقْرَأُ عليه القرآن فلا يؤثر فيه وربما استثقل به، فإذا سمع قرآن الشيطان ورقية الزنا ومادة النفاق طاب سِرُّهُ وتواجد وهاج قلبه من دواعي الطرب وودَّ أن المغني لا يسكت، والذي يحلف بالله ويكذب، فإذا حلف بالبندق أو برأس شيخه أو قريبه أو سراويل الفتوة أو حياة من يحبه ويعظمه من المخلوقين لم يكذب ـ ولو هدد وعوقب ـ، والذي يفتخر بالمعصية ويستكثر بها بين إخواته وأضرابه ـ وهو المجاهر ـ، والذي لا تأمنه على مالك وحريمك، والفاحش اللسان البذي الذي تَرَكَهُ الْخَلْقُ اتِّقَاء شَرِّهِ وفحشه، والذي يؤخر الصلاة إلى آخر وقتها وينقرها ولا يذكر الله فيها إلا قليلًا، ولا يؤدي زكاة ماله طيبة بها نفسه، ولا يحج مع قدرته على الحج، ولا يؤدي ما عليه من الحقوق مع قدرته عليها، ولا يتورع من لحظة ولا لفظة ولا أكلة ولا خطوة، ولا يبالي مما حصل المال من حلال أو حرام، ولا يصل رحمه، ولا يرحم المسكين ولا الأرملة ولا اليتيم ولا الحيوان البهيم، بل يدع اليتيم، ولا يحض على طعام المسكين، ويرائي للعالمين، ويمنع الماعون ويشتغل بعيوب الناس عن عيبه، وبذنوبهم عن ذنبه، فكل هؤلاء وأمثالهم يعذبون في قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقلتها وصغيرها وكبيرها، ولما كان أكثر الناس كذلك كان أكثر أصحاب

القبور معذبين، والفائز منهم قليل، فظواهر القبور تراب، وبواطنها حسرات وعذاب... يا عمار الدنيا لقد عمرتم دارًا موشكة بكم زوالًا، وَخَرَّبْتُمْ دارًا أنتم مسرعون إليها انتقالًا، عمرتم بيوتًا لغيركم منافعها وسكناها، وخربتم بيوتًا ليس لكم مساكن سواها، هذه دار الاستيفاء ومستودع الأعمال وبذر الزرع، وهذه محل لِلْعِبَرِ رِيَاضٌ من رِيَاضِ الجنة أو حفر من حفر النار». انتهى كلامه - رَحِمَهُ اللَّهُ[1].

- **قلت:** فإذا علم المسلم هذا المصير إما إلى نعيم وإما إلى عذاب في حياة البرزخ حتى تقوم القيامة الكبرى؛ حيث النعيم المقيم أو العذاب المستديم، أقبل على آخرته وزهد في دنياه وأعرض عن التنافس فيها والتناحر من أجلها، كما ينبغي تدريب الطفل على التفكر في خلق اللَّه وعظمة تلك المخلوقات التي تدل على عظمة خالقها، والتفكر في نفسه وما فيها من آيات، ثم نهاية وفناء كل شيء وَبَعْدَهَا نعيم أو عذاب في البرزخ، ثم يوم المعاد.

* * *

(١) الروح، لابن القيم، ص: ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨.

أسباب النجاة من عذاب القبر

❑ منها المجمل والمفصل كما ذكر ابن القيم ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ:

«**المجمل**: فهو تجنب تلك الأسباب التي تقتضي عذاب القبر، ومن أنفعها أن يجلس الرجل عندما يريد النوم للَّه ساعة يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه في يومه، ثم يجدد له توبة نصوحًا بينه وبين اللَّه؛ فينام على تلك التوبة ويعزم على أن لا يعاود الذنب إذا استيقظ.

المفصل: فنذكر أحاديث عن رسول اللَّه ﷺ فيما ينجي من عذاب القبر؛ فمنها:

❑ الرباط والجهاد:

عَنْ سَلْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفَتَّانَ»(١).

عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ**»(٢).

عَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟! قَالَ: «**كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً**»(٣).

❑ فضل الشهيد:

عَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ**

(١) أخرجه مسلم (١٩١٣): كتاب: الإمارة، باب: فضل الرباط في سبيل اللَّه ﷻ.
(٢) رواه الترمذي (١٦٢١)، وقال: حَدِيثُ فَضَالَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.
(٣) أخرجه النسائي (٢٠٥٣).

وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ»(١).

❑ فضل سورة الملك:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ضَرَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ خِبَاءَهُ عَلَى قَبْرٍ وَهُوَ لَا يَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ؛ فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ حَتَّى خَتَمَهَا؛ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي ضَرَبْتُ خِبَائِي عَلَى قَبْرٍ، وَأَنَا لَا أَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ؛ فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ «تَبَارَكَ الْمُلْكِ» حَتَّى خَتَمَهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**هِيَ الْمَانِعَةُ، هِيَ الْمُنْجِيَةُ؛ تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**». [رواه الترمذي (٢٨٩٠)، وقال: هذا حديث حسن غريب». انتهى كلامه ـ رَحِمَهُ اللَّهُ(٢).

قلت: وذلك التفكر في عذاب القبر ونعيمه يقود المرء للإقبال على الآخرة وترك التنافس في الدنيا.

رابعًا: محاسبة النفس:

والنفس أنواع من حيث مراقبة اللَّه ـ جَلَّ وَعَلَا ـ؛ منها:

النفس المطمئنة: وهي المسافرة إلى اللَّه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ.

النفس اللوَّامة: هي التي أقسم بها ربنا ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾(٣).

قال ابن القيم ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «... فاختلف فيها، فقالت طائفة: هي التي لا تثبت على حال واحدة... فتذكر وتغفل، وتقبل وتعرض، وتلطف وتكثف، وتنيب وتجفو، وتحب وتبغض، وتفرح وتحزن، وترضى وتغضب، وتطيع وتعصي، وتتقي وتفجر...

وقالت طائفة: اللفظة مأخوذة من اللوم...

قال الحسن البصري: إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه دائمًا، يقول: ما أردت بهذا؟ لم

---

(١) أخرجه الترمذي (١٦٦٣)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

(٢) الروح، ط: المكتبة المصرية.

(٣) القيامة: ٢.

فعلت هذا؟ كان غير هذا أولى...

قال غيره: هي نفس المؤمن في الذنب، ثم تلومه عليه، فهذا اللوم من الإيمان، بخلاف الشقي فإنه لا يلوم نفسه على ذنب، بل يلومها وتلومه على فواته.

وقالت طائفة: بل هذا اللوم للنوعين، فإن كل أحد يلوم نفسه برًّا كان أو فاجرًا، فالسعيد يلومها على ارتكاب معصية اللَّه وترك طاعته، والشقي لا يلومها إلا على فوات حظها وهواها.

وقالت فرق أخرى: هذا اللوم يوم القيامة، فإن كل أحد يلوم نفسه، إن كان مسيئًا على إساءته، وإن كان محسنًا على تقصيره».

بعد هذا العرض لنوعي النفس السابقين قال ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وهذه الأقوال كلها حق ولا تنافي بينها... لكن اللوامة نوعان؛ لوامة ملومة: وهي النفس الجاهلة الظالمة التي يلومها اللَّه وملائكته، ولوامة غير ملومة: وهي التي لا تزال تلوم صاحبها على تقصيره في طاعة اللَّه مع بذله جهده، فهذه غير ملومة». انتهى(١).

قلت: وهذان النوعان من النفس يقودان إلى الآخرة والإقبال عليها ـ أي المطمئنة واللوامة غير الملومة.

❑ كيف تربي طفلك على الإقبال على الآخرة؟

يبدأ الأمر بزوجة صالحة من ليلة الزواج؛ حيث الدعاء قبل الجماع.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ، قَالَ: «بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبْ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا»؛ فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا**»(٢).

وعند الولادة: تؤذن في أذنه الأذان المعروف للصلوات حتى يحفظه اللَّه، ويكون أول ما طرق مسامعه اسم اللَّه والشهادتين؛ فتسبق الشيطانَ إلى دعوة طفلك للَّه ورسوله؛ حيث

(١) الروح، لابن القيم ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

(٢) متفق عليه: البخاري (٦٣٨٨)، ومسلم (١٤٣٤).

إن أول الحواس عملًا الإحساس ثم السمع، قال ـ تَعَالَى ـ ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾(١)، ثم تحُنّكهُ بالتمر اتباعًا لسنة المصطفى ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ، وفي اليوم السابع تَعُقُّ عنه اتباعًا لسنة المصطفى، ثم تسميه اسمًا حسنًا حتى تجنبه الآلام النفسية الملازمة للأسماء السيئة، أو المضحكة، أو المبالغ فيها، وحتى يأتي وقت نُطْقِهِ احرص على رقيته كل يوم، واحذر أن تقع عينه على قبيح من أفعال أو عورات بقدر المستطاع، بل ضعه جانبك وأنت تقرأ القرآن، وأبعد سمعه عن السماع المحرم، فإذا جاء وقت نُطْقِهِ ـ وغالبًا يكون في الشهر الحادي عشر في الطفل العادي، وقد يتأخر إلى خمسة عشر شهرًا، ولا قلق في ذلك ـ فاحرص على أن تكون أول كلمة ينطقها «اللَّه»، ثم لَقِّنْهُ الشهادتين إذا ارتقت لغته، وعلمه العقيدة الصحيحة على قدر فهمه؛ بأن اللَّه في السماء ـ وتشير إلى جهة العلو ـ، واحذر الفهوم المنحرفة ـ بأن اللَّه في كل مكان ـ حَدِّثْهُ عن عظمته ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ، ونعمه السابغة، وقدرته على الخلق، ورزقه لهم، وشفائه لمريضهم، وتوفيقه لمطيعهم، وهدايته لضالهم؛ باقتناص المواقف اليومية لكي تغرس في قلبه شجرة الإيمان وحب اللَّه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ المنعم المتفضل، عند الأكل تقول: من الذي رزقنا هذا الطعام؟ ثم تعلمه السنة المتبعة في الأكل، وعند الشرب تعلمه نعمة اللَّه علينا؛ بأن جعل الماء عذبًا وجعل الهواء نقيًا حتى لا نختنق ونموت، فعلى قدر فهمه ترويه بالإيمان، وهكذا في جميع ما يمر به من مواقف وأحداث تربطها بالسماء، وحتى تجنبه فهوم من ربطوا حياتهم وفهومهم وتفسيراتهم لكل ما يقع في حياتهم من مواقف وأحداث بالأرض والطبيعة والكون والظواهر وغفلوا عن خالقها جميعًا، فهم يقولون لأطفالهم: إن الشمس تعطينا الضوء والسحاب يعطينا المطر، وإذا سقطت الأسنان اللبنية يقولون: يا شمس يا شموسة خذي سِنَّ الحمار، وهاتي سنَّ العروسة. فيفهم الطفل أن الشمس تعطي الأسنان وتعطي الضوء، وهذا خلل في بناء العقيدة الصحيحة، وهم يقولون: إن الزلازل إذا ضربت بلادهم وقعت بسبب اضطراب

(١) النحل: ٧٨.

باطن الأرض أو ضعف القشرة الأرضية. متغافلين أن الخسف والسيول والفيضانات والريح العاصف وغيرها من جندَ اللَّه يعذب بها من يشاء، وهم يقولون: إن الخسوف والكسوف للشمس والقمر ظواهر كونية ناتجة عن دوران الأرض والشمس. وتغافلوا أو جهلوا أنها ظواهر تحدث لتخويف اللَّه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ لعباده، وليست بسبب موت عظيم، ولو شاء ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ لمنعها، فهو ـ سُبْحَانَهُ ـ المحرك للشمس والأرض والقمر والريح، وهكذا أخي المربي تستطيع أن تربي ولدك على الإيمان والاعتقاد الصحيح من خلال المواقف والأحداث اليومية التي يمر بها منذ صغره، وكن يقظًا لكل موقف وكل تفسير مغلوط، واصبر ورابط على قلبه وعقله؛ فإن التربية جُذُورُهَا مُرَّةٌ وثمارها حلوة، وحذاري أن تتركه فيربيه غيرك من وسائل الإعلام، أو زملائه وأقرانه ـ نعم، لا تتعجب، فإن الأطفالَ يربي بعضهم بعضًا أحيانًا ـ، أو أصحاب الفهوم المغلوطة ممن يختلط بهم؛ كالجيران أو الأقارب أو بعض المعلمين، مع الاعتذار للصالحين من هؤلاء، ولا يخفى علينا ما يحدث من بعض المعلمين من فحش في القول وكلام في الجنس مع بعض طلاب المرحلة المتوسطة ـ المراهقين ـ، ومنهم من يقص شعره القَصَّات الحديثة التعيسة متشبهًا بمشاهير الفسقة من مسلمين أو كفار، ومنهم من يحدث طلابه عن الكرة كأنها قضية القضايا ويجادل عن فريقه المفضل ولاعبه المفضل كأنه يجادل عن صحابي جليل أو عالم قدير، وهذا المعلم خطأه يتعداه إلى أولاد المسلمين، وفساد قلبه أو سلوكه يتعدى إلى أبنائنا وهم وحدات بناء مجتمع الغد القريب.

ولذلك أخي المربي اختر لولدك قدوة صالحة، وعلمه سنة المصطفى ﷺ في جميع شئون حياته، علمه الوضوء والصلاة وتابعه واصبر عليه حتى يؤديها على الوجه الصحيح، واصطحبه معك للمسجد، وعلمه احترام المسجد والهدوء فيه، وحفظه الأذكار منذ صغره، وساعده على ترديدها في مواضعها، واضبط له ألفاظها وكيفيتها حتى تجنبه الحفظ باللحن اللغوي، وكذا استحداث ما ليس من الدين، وَاحْكِ له عن الرسول عليه السلام وخلقه وتحمله المشاق والمصاعب من أجل إنقاذنا من النار، وعطفه ورحمته لأمته ورِفْقِهِ بها،

حَفِّظْهُ القرآنَ، وَعَلِّمْهُ الخلق الإسلامي الحميد والآداب الإسلامية، وَرَتِّبْ له محبوباته، فيبدأ بحب اللَّه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ، ثم الرسول ﷺ، ثم الأم الصالحة، ثم الأب الصالح، ثم الصحابة والتابعين وأهل العلم، ثم الأمثل فالأمثل، حتى تستقر عنده عبادة الحب منذ صغره، فإذا كبر قدم طاعة اللَّه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ وطاعة رسول اللَّه ﷺ على طاعة كل محبوب إذا تعارضا، حتى يفهم أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، حتى لو كانت الأم أو الأب، ومن وجه آخر يقدم طاعة اللَّه على هوى النفس وما تحبه من أشياء مثل اللعب أو الكرة أو المال أو الزوجة أو السلطان أو الجاه؛ فينجو من صفوف من قال ـ تَعَالَى ـ فيهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾[1].

وكذا ينبغي أن تصنع توازنًا في قلب طفلك بين الخوف والرجاء، فترغبه في الجنة ونعيمها وما أعده ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ لعباده الصالحين فيها، وكذا حَدِّثْهُ عن النار فتخوفه من عذاب اللَّه، وترغبه فيما عند اللَّه من نعيم مقيم حتى يتزن سلوكه؛ لأن الرجاء فقط يورث الغرور والغفلة ـ أقصد الاغترار والأمن من مكر اللَّه والتعلق بالرحمة في ظل الجرأة على حدود اللَّه ـ، وكذلك الخوف فقط يورث اليأس والقنوط من رحمة اللَّه، وكلاهما خلل في الفهم والاعتقاد يورثان اضطرابًا في السلوك.

فكثيرًا ما كنت أسمع من بعض الناس قولهم: «إن اللَّه غفور رحيم»، «ليس معقولًا أن يعذبنا في الدنيا وأيضًا بالآخرة»، «ربنا رب قلوب»، «نحن مسلمون سيعذبنا قليلًا ثم يدخلنا الجنة»، والأجهل من ذلك قول أحدهم: «عصايتين في النار وبعدين الجنة»، وكلها عبارات الاغترار والغرور، والأمن من مكر اللَّه وعذاب اللَّه، ونقيضهم الذي يقول: «ليس

(١) البقرة: ١٦٤-١٦٦.

هناك فائدة معاصينا كثيرة سيغفر ماذا أم ماذا؟» يستكثر على اللَّه المغفرة، وهذا يأس وقنوط.

(٤) نقل الأشواق إلى الجنة:

إذا أراد المسلم ترك التنافس في الدنيا فليرحل بأشواقه في الجنة؛ حيث يُرى ما لا عين رأت، ويَستمع إلى ما لا أذن سمعت، ويتنعم بما لم يخطر على قلب بشر؛ فتسقط المقارنة بين سيف وعصًا، بل ليس هناك تكافؤ في المقارنة، وليست الدنيا أهلًا للمقارنة بالآخرة، وليس نعيم الدنيا يرقى إلى مستوى المقارنة مع نعيم الجنة، ولنرحل سويًّا بأشواقنا إلى جنة أعدها اللَّهُ المنعمُ ـ الكريمُ المنانُ القادرُ الفعالُ لما يريد، المبدعُ ـ لأهلِ كرامته.

❑ **أبوابها:**

قال ـ تَعالَى ـ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ۝٧٣﴾[١].

قال ابن القيم ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ:

«... وأما الجنة فإنها دار اللَّه ودار كرامته ومحل خواصه وأوليائه، فإذا انتهوا إليها صادفوا أبوابها مغلقة؛ فيرغبون إلى صاحبها ومالكها أن يفتحها لهم، ويشفعون إليه بأولي العزم من رسله، وكلهم يتأخر ذلك حتى تقع الدلالة على خاتمهم وسيدهم وأفضلهم، فيقول: «**أنا لها**»، فيأتي إلى تحت العرش ويخر ساجدًا لربه، فيدعه ما شاء أن يدعه، ثم يأذن له في رفع رأسه، وأن يسأل حاجته، فيشفع إليه ـ سُبْحَانَهُ ـ في فتح أبوابها؛ فيشفعه ويفتحها تعظيمًا لخطرها، وإظهار لمنزلة رسوله وكرامته عليه... وهذا أبلغ وأعظم في تمام النعمة وحصول الفرح والسرور مما يقدر بخلاف ذلك؛ لئلا يتوهم الجاهل أنها بمنزلة الخان الذي يدخله من شاء، فجنة اللَّه عالية غالية بين الناس...»[٢].

وفي معرض كلامه عن سَوْقِ أهل الجنة زمرًا إلى أبوابها وهم في الطريق إليها: «تأمل

(١) الزمر: ٧٣.

(٢) حادي الأرواح ص٥٧.

فرحة هؤلاء بإخوانهم وسيرهم معهم كل زمرة على حدة... يؤنس بعضهم بعضًا، ويفرح بعضهم ببعض... وقال خزنة أهل الجنة لأهلها: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ فبدءوهم بالسلام المتضمن للسلام من كل شر ومكروه؛ أي: سلمتم، فلا يلحقكم بعد اليوم ما تكرهون، ثم قالوا لهم: ﴿طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾[(١)]... فبشروهم بالسلامة والطيب والدخول والخلود... فبشروا من أول وهلة بالدخول إلى المقاعد والمنازل والخلود فيها، وتأمل قوله ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾﴾[(٢)].

إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتحة... إشارة إلى تصرفهم وذهابهم وإيابهم وتبوئهم في الجنة حيث شاءوا، ودخول الملائكة عليهم بالتحف والألطاف من ربهم، ودخول ما يسرهم عليهم كل وقت، وأيضًا إشارة إلى أنها دار أمن لا يحتاجون فيها إلى غلق الأبواب كما كانوا يحتاجون إلى ذلك في الدنيا». انتهى[(٣)].

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**فِي الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، فِيهَا بَابٌ يُسَمَّى الرَّيَّانَ، لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ**»[(٤)].

عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: «كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الْإِبِلِ، فَجَاءَتْ نَوْبَتِي، فَرَوَّحْتُهَا بِعَشِيٍّ؛ فَأَدْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَأَدْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ؛ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ**» قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَجْوَدَ هَذِهِ؛ فَإِذَا قَائِلٌ بَيْنَ يَدَيَّ يَقُولُ: الَّتِي قَبْلَهَا أَجْوَدُ!! فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ قَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ جِئْتَ آنِفًا قَالَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ أَوْ فَيُسْبِغُ الْوَضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**»[(٥)].

(١) الزمر: ٧٣.
(٢) ص: ٥٠، ٥١.
(٣) حادي الأرواح ص٥٨ ـ ٥٩ المكتبة العصرية ـ بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
(٤) رواه البخاري (٣٢٥٧).
(٥) رواه مسلم (٢٣٤).

❑ سعة أبوابها:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «... **وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ إِلَى عِضَادَتَيِ الْبَابِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ أَوْ هَجَرٍ وَمَكَّةَ**»(١).

❑ الباب له حلقة:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ في حديث الشفاعة الطويل: «... **فَآخُذُ بِحَلْقَةِ بَابِ الْجَنَّةِ فَأُقَعْقِعُهَا**...»(٢).

❑ درجاتها:

قال - تَعَالَى -: ﴿لَهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾(٣).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «... **إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**...»(٤)..

❑ مفتاح الجنة:

قال ابن القيم - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

«وَذَكَرَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: أَلَيْسَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ لَيْسَ مِفْتَاحٌ إِلَّا لَهُ أَسْنَانٌ، فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِحَ لَكَ، وَإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ. [رواه البخاري]. ثم قال: مفتاح الصلاة الطهر، ومفتاح الحج الإحرام، ومفتاح البر الصدق، ومفتاح الجنة التوحيد، ومفتاح العلم البر، ومفتاح النصر والظفر الصبر، ومفتاح المزيد الشكر، ومفتاح الولاية المحبة والذكر، ومفتاح الفلاح التقوى، ومفتاح التوفيق الرغبة والرهبة، ومفتاح الإجابة الدعاء، ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا،

(١) متفق عليه: البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤)، واللفظ له.

(٢) رواه الترمذي (٣١٤٨). وقال حديث حسن. وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٧١) وبعضه عن مسلم.

(٣) الأنفال: ٤.

(٤) رواه البخاري (٧٤٢٣).

ومفتاح الإيمان التفكر فيما دعا اللّٰه عباده إلى التفكر فيه، ومفتاح الدخول على اللّٰه إسلام القلب وسلامته له والإخلاص له في الحب والبغض والفعل والترك، ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن والتضرع بالأسحار وترك الذنوب، ومفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عبيده، ومفتاح الرزق السعي مع الاستغفار والتقوى، ومفتاح العز طاعة اللّٰه ورسوله، ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل، ومفتاح كل خير الرغبة في اللّٰه والدار الآخرة، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل». انتهى[١].

❑ **أسماؤها:**

١ ـ **الجنة**: قال ابن القيم: «وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم والدرَّة والبهجة والسرور وقرة العين، وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية؛ ومنه: الجنين؛ لاستتاره في البطن، والجان؛ لاستتاره عن العيون، والمِجَنُّ؛ لستره ووقايته للوجه، والمجنون؛ لاستتار عقله عنه»[٢]. انتهى.

٢ـ **دار السلام**: قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[٣].

قال ابن القيم: «وهي أحق بهذا الاسم، فإنها دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه، وهي دار اللّٰه واسمه ـ سُبْحَانَهُ ـ وتعالى السلام الذي سلمها وسلم أهلها: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾[٤]. ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾[٥].

والرب ـ تَعَالَى ـ يسلم عليهم من فوقهم ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾[٦]، وكلامهم كلهم فيها سلام؛ أي: لا لغو فيها ولا فحش ولا باطل»[٧]. انتهى.

(١) حادي الأرواح ص٧٠.
(٢) حادي الأرواح ص٩١.
(٣) الأنعام: ١٢٧.
(٤) يونس: ١٠.
(٥) الرعد: ٢٣ـ ٢٤.
(٦) يونس: ٥٨.
(٧) حادي الأرواح ص٩٢.

٣ ـ **دار الخلد:** وسميت بذلك؛ لأن أهلها لا يظعنون عنها أبدًا.

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾(١).

﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤﴾(٢).

﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾(٣).

﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾(٤).

٤ ـ **دار المقامة:** قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٤ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾(٥).

«قال الفراء والزجاج: المقامة مثل الإقامة»(٦).

٥ ـ **جنة المأوى:** قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥﴾(٧). المأوى: مَفْعَل، من أَوَى يَأْوِي إذا انضم إلى المكان وصار إليه واستقر به.

٦ ـ **جنات عدن:** قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾(٨).

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝٣٣﴾(٩).

«والاشتقاق يدل على أن جميعها جنات عدن، فإنه من الإقامة والدوام، يقال: عدن

---

(١) هود: ١٠٨.
(٢) ص: ١٠٤.
(٣) الرعد: ٣٥.
(٤) الحجر: ٤٨.
(٥) فاطر: ٣٤، ٣٥.
(٦) الكلام لابن القيم نفس المصدر ص٩٣.
(٧) النجم: ١٥.
(٨) مريم: ٦١.
(٩) فاطر: ٣٣.

بالمكان: إذا أقام به، وعدنت البلد: توطنته، وعدنت الإبل: بمكان كذا: لزمته فلم تبرح منه»[١].

٧ ـ **دار الحيوان**: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾[٢].

قال ابن القيم: «والصواب أن الحيوان على ضربين:

أحدهما: مصدر كما حكاه أبو عبيدة: الحياة الحيوان.

والثاني: وصف كما حكاه أبو زيد: الحيوان ما فيه روح، والموتان والموت ما لا روح فيه».

٨ ـ **الفردوس**:

قال ـ تعالى ـ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾[٣].

قال ابن القيم: «والفردوس اسم يقال: على جميع الجنة، ويقال: على أفضلها وأعلاها».

وقال: «وأصل الفردوس: البستان، والفراديس: البساتين»[٤].

٩ ـ **جنات النعيم**: قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾[٥].

«اسم جامع لجميع الجنات لما تضمنته من الأنواع التي يتنعم بها؛ من المأكول والمشروب والملبوس والصور والرائحة الطيبة والمنظر البهيج والمساكن الواسعة وغير ذلك من النعيم الظاهر والناطق»[٦].

---

(١) نفس المصدر ص٩٣.
(٢) العنكبوت: ٦٤.
(٣) المؤمنون: ١٠، ١١.
(٤) نفس المصدر ص٩٥.
(٥) لقمان: ٨.
(٦) حادي الأرواح ص٩٥.

١٠ ـ المقام الأمين: قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾[١].
«والمقام: موضع الإقامة. والأمين: الآمن من كل سوء وآفة ومكروه»[٢].

١١ ـ مقعد صدق:

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾[٣].

قال ابن القيم: «وموضع هذه اللفظة الصحة والكمال، ومنه الصدق في الحديث والصدق في العمل»[٤].

❑ **عدد الجنات وأنواعها:**

● **العدد:**

قال ابن القيم: هي جنات كثيرة جدًّا؛ كما روى البخاري في «صحيحه».

عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنْتَ الْبَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ ـ وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ؛ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ ـ فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبَرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ؟! قَالَ: «**يَا أُمَّ حَارِثَةَ، إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى**»[٥].

● **النوع:**

قال ابن القيم: «وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**»[٦].

---

(١) الدخان: ٥١.
(٢) حادي الأرواح ص٩٥.
(٣) القمر: ٥٤، ٥٥.
(٤) حادي الأرواح ص٩٥.
(٥) البخاري: ٢٨٠٩.
(٦) متفق عليه: البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠).

وقد قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾[1].

فذكرهما، ثم قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾[2].

فهذه أربع». انتهى[3].

❑ تربة الجنة وطينتها وحصباؤها وبناؤها:

روى أبو بكر بن مردويه من حديث الحسن، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْجَنَّةِ فَقَالَ: **«مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَا يَمُوتُ، وَيَنْعَمُ لَا يَيْأَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ»** قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ بِنَاؤُهَا؟ قَالَ: **«لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَمِلَاطُهَا مِسْكٌ أَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ»**.

❑ غرف الجنة وقصورها:

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٌ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٌ مَّبۡنِيَّةٌ﴾[4].

﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾[5].

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا»**[6].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا**

---

(١) الرحمن: ٤٦

(٢) الرحمن: ٦٤.

(٣) نفس المصدر ص٩٧.

(٤) الزمر: ٢٠.

(٥) سبأ: ٣٧.

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٤٣)، ومسلم (٢٨٣٨) واللفظ له.

بَيْتَهُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ، لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: **«بَلَى؛ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»**(١).

أورد ابن القيم ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ قول الأعمش عن مالك بن الحارث عن مغيث بن سمي قال: إن في الجنة قصورًا من ذهب، وقصورًا من فضة، وقصورًا من لؤلؤ، وقصورًا من ياقوت، وقصورًا من زبرجد.

وقال الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال: إن أدنى أهل الجنة منزلة من له دار من لؤلؤة واحدة، مِنْهَا غرفُها وأبوابُها(٢).

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١).

(٢) نفس المصدر ص١٣٤.

نـــــــداء

❑ **يا تجار الأراضي! يا أصحاب الأراضي! يا أهل المعمار! يا أصحاب القصور! يا أصحاب الضيعات! يا أصحاب البساتين!:**

إن قصوركم تتهاوى بمرور الزمن، وبيوتكم تتساقط ولو بعد حين، وبناؤها من طوب من رمل وتراب وماء وطين وحصى وحديد يتآكل ويصدأ، ومع هذا تتركونها وتموتون قبل فنائها أو سقوطها، وبعد أن قضيتم السنوات في تعميرها، وبذلتم الأموال لبنائها، والتي سوف تسألون عنها، وبذلتم الجهود المضنية لإتمام بنائها، وحملتم الهموم من أجل استكمالها ثم سُكْنَتِهَا وقد تذهبون قبل سكنكم فيها، وقد تقضون أيامًا معدودات بين جدرانها.

لماذا عمرتم دنياكم وأهملتم آخرتكم؟ لماذا قدمتم على الفانية وزهدتم في الباقية؟ لماذا زهدتم في الذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزبرجد وبحثتم عن الحديد والأسمنت؟

هل اقتنعتم بالمحسوس والملموس وارتبتم في الغيب اليقيني غير الملموس؟!

هل الإيمان مقتصر على ما نرى ونباشر ونسمع؟

وهل الريب في الغائب المتواتر الآثار، الثابت بأدلة العقل وشواهد الفكر وصحيح النقل؟

يا أيها الأنام صححوا الأفهام وجددوا الإيمان بالواحد الديان.

قال - تعالى -: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥٨﴾[1]

❑ **صفة أهل الجنة ونعيمهم:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ**

(١) القصص: ٥٨.

الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَتْفِلُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلُوَّةُ الْأَنْجُوجُ عُودُ الطِّيبِ، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ»(١).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ، فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ؛ فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا؛ فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدْ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا!! فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا»(٢).

قلت: يا أهلنا، يا إخواننا، يا أخواتنا، يأيها المربون، يأيها المؤمنون، يا طالبي السعادة والجمال يا من تبحثون عن عمليات التجميل، يا من يستعملن المساحيق والألوان وأدوات التجميل، يا من يستعملن الشعر المستعار، يا من يتفلجن طلبًا للجمال، يا من يتبعن الموضة طلبًا للجمال، يا من يبحثن عن السعادة في كل مجال، يا من يَحْلِقون لِحَاهُمْ طلبًا للجمال، يا من يقصون شعورهم قَصَّات مشاهير الكفار، يا من يثقبون آذانهم وأنوفهم لوضع الحلق فيها ـ من الرجال ـ، يا من يُطْلِقُونَ أظافرهم ويلبسون في مَعَاصِمِهِمْ ما يسمى «بالإنسيال»، يا من يأخذون من شعور وجناتهم عند الحلاق بالخيط من الرجال، يا من يلبسون ملابس النساء من الرجال طلبًا للجمال، يا من يتنمصن من النساء طلبًا للجمال، يا من يطلبون السعادة والجمال من النساء والرجال، جمال الدنيا محدود بسن الشباب، وينطفئ رويدًا رويدًا بغروب شمس الشباب، وهو محدود بدرجة لا يتعدَّاها مهما زاد.

يا متعب الجسم أتعبت جسمك فيما فيه خسرانُ
أقبل على الروح واستكمل فضائلها فأنت بالروح لا بالجسم إنسانُ

فدعوا الفاني وتمسكوا بالباقي، أقبلوا على الآخرة؛ حيث نعيم مقيم، وسعادة أبدية،

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤).

(٢) رواه مسلم (٢٨٣٣).

وراحة أزلية، وجمالٌ حقيقي، وعزٌ باقٍ، وقلبٌ صافٍ، وحبٌ نقيٌ، ومُلْكٌ أبديٌّ، وعيشٌ هَنِيءٌ.

عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷻ:** ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(١)»(٢).

أتحبون الدنيا وتفضلون أهلها، وتؤثرون جوارهم على جوار خالقهم، وملائكته، وجناته، وحور عين، وخدم مخلدون؟!

أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، ما لكم كيف تحكمون؟!

أتؤثرون رضا الخلق على رضا الرحمن؟!

عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ. فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟! فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي؛ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**»(٣).

هذا ربكم الكريم المنان، رضوانه ليس مثله رضوان، وعطاؤه لا يضاهيه عطاء، وجواره لا يكافؤه جوار، وميراثه لا يَعْدُلُهُ ميراث.

ونعيمه لا يعتريه زوال ولا نقصان.

---

(١) الأعراف: ٤٣.

(٢) مسلم (٢٨٣٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٧٥١٨)، ومسلم (٢٨٢٩).

❑ أشجار الجنة وثمارها وزرعها:

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾[(١)].

«والمخضود: الذي قد خضد شوكه؛ أي: نزع وقطع، فلا شوك فيه»[(٢)].

«وأما الطلح: فأكثر المفسرين قالوا: إنه شجرة الموز... وقالت طائفة أخرى: بل هو شجر عظيم طوال، وهو شجر البوادي عند العرب... ولهذا الشجر نور ورائحة وظل ظليل، وقد نضد بالحمل والثمر مكان الشوك... والظاهر أن من فسر الطلح المنضود بالموز إنما أراد التمثيل به لحسن نضده، وإلا فالطلح في اللغة: هو الشجر العظيم من شجر البوادي، والله أعلم»[(٣)]. [انتهى كلام ابن القيم].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا**»[(٤)].

قال ابن القيم: «وقال ابن المبارك: حدثنا سفيان بن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر، وكربها ذهب أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنة، منها متطلعاتهم وحللهم، وثمرها أمثال القلال والدلاء، أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس فيها عجم»[(٥)].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾[(٦)]؛ أي: لا تكون

---

(١) الواقعة: ٢٧ـ ٣٣.

(٢) نقله ابن القيم، وقال: هذا قول ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل، وقتادة، وجماعة ص١٥٢.

(٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص١٥٣.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٥١)، ومسلم (٢٨٢٧).

(٥) حادي الأرواح ص١٥٥.

(٦) الواقعة: ٣٢، ٣٣.

في وقت دون وقت، ولا تمنع ممن أرادها.

وقال ـ تَعَالَى ـ: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[(١)]؛ والقطوف: جمع قطف؛ وهو: ما يقطف؛ أي: ثماره دانية قريبة ممن يتناولها، فيأخذها كيف شاء، قال البراء بن عازب: يتناول الثمرة وهو نائم.

وقال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾[(٢)].

قال ابن عباس: إذا هم أن يتناول من ثمارها تدلت له حتى يتناول ما يريد.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ: **«أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ!! فَقَالَ لَهُ: أَوَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟! قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ. فَأَسْرَعَ وَبَذَرَ؛ فَتَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ وَتَكْوِيرُهُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ!! فَيَقُولُ اللَّهُ ـ تَعَالَى ـ: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ؛ فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ. فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تَجِدُ هَذَا إِلَّا قُرَشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا؛ فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ، فَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ. فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ!!»**[(٣)].

* * *

طعام أهل الجنة وشرابهم ولباسهم وخيامهم

❑ **طعامهم وشرابهم:**

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾[(٤)].

---

(١) الحاقة: ٢١- ٢٣.

(٢) الإنسان: ١٤.

(٣) رواه البخاري (٧٥١٩). (حادي الأرواح ص١٥٩).

(٤) المرسلات: ٤١- ٤٣.

وَفِي الْمُسْنَدِ وَسُنَنِ النَّسَائِيِّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ، عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ؟! وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: إِنْ أَقَرَّ لِي بِهَذِهِ خَصَمْتُهُ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَالشَّهْوَةِ وَالْجِمَاعِ»** قَالَ: فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ تَكُونُ لَهُ الْحَاجَةُ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«حَاجَةُ أَحَدِهِمْ عَرَقٌ يَفِيضُ مِنْ جُلُودِهِمْ مِثْلُ رِيحِ الْمِسْكِ فَإِذَا الْبَطْنُ قَدْ ضَمُرَ»**(١).

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾(٢).

وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾(٣).

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾(٤).

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾(٥).

قال ابن القيم: «وقد تضمنت النصوص أن لهم فيها الخبز واللحم والفاكهة والحلوى وأنواع الأشربة من الماء واللبن والخمر، وليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء، وأما المسميات فبينها من التفاوت ما لا يعلمه البشر، فإن قيل: فأين يشوى اللحم وليس في الجنة

---

(١) المسند (١٨٧٨٣).

(٢) الطور: ٢٢، ٢٣.

(٣) الرعد: ٣٥.

(٤) الإنسان: ٥، ٦.

(٥) الإنسان: ١٧، ١٨.

نار؟... والصواب أنه يشوى في الجنة بأسباب قدرها العزيز الحكيم لإنضاجه وإصلاحه... وكذلك جعل لهم - سُبْحَانَهُ - أسبابًا تصرف الطعام من الجشاء والعرق الذي يفيض من جلودهم، فهذا سبب إخراجه، وذاك سبب إنضاجه...»[1].

❑ لباسهم وخيامهم:

قال - تَعَالَى -: ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾﴾[2].

وقال - تَعَالَى -: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾[3].

وقال: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[4].

السندس والإستبرق: قال الزجاج: هما نوعان من الحرير، وأحسن الألوان الأخضر، وألين اللباس الحرير؛ فجمع لهم بين حسن منظر اللباس والتذاذ العين به، وبين نعومته والتذاذ الجسم به.

قال ابن القيم: «وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ الْمُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا»**[5].

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا إسحاق حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن جابر عن القاسم بن أبي بزة عن أبي عبيدة عن مسروق عن عبدالله قال: **«لِكُلِّ مُسْلِمٍ خَيْرَةٌ، وَلِكُلِّ خَيْرَةٍ خَيْمَةٌ، وَلِكُلِّ خَيْمَةٍ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ، يَدْخُلُ عَلَيْهَا كُلَّ يَوْمٍ مِنْ كُلِّ بَابٍ تُحْفَةٌ وَهَدِيَّةٌ وَكَرَامَةٌ لَمْ تَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ، لَا مَرِحَاتٍ وَلَا زَفِرَاتٍ وَلَا بَخِرَاتٍ وَلَا طَمَّاحَاتٍ، حُورٌ عِينٌ كَأَنَّهُمْ بَيْضٌ مَكْنُونٌ»**.

---

(١) نفس المصدر ص١٧٣.

(٢) الدخان: ٥٣.

(٣) الكهف: ٣٠- ٣١.

(٤) الحج: ٢٣.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٤٣)، ومسلم (٢٨٣٨) واللفظ له.

❑ نساء أهل الجنة:

قال ـ تعالى ـ: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٥٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٧ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨﴾(١).

قال ابن القيم ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «والمفسرون كلهم على أن المعنى قصرن طرفهن على أزواجهن، فلا يطمحن إلى غيرهم.

وقال الحسن: قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم، والله ما هن متبرجات ولا متطلعات».

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢﴾.

وقال ابن القيم: «والحور: جمع حوراء؛ وهي: المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين.

وقال مجاهد: الحور التي يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون.

وقال الحسن: الحوراء شديدة بياض العين شديدة سواد العين.

قال مقاتل في تفسير ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢﴾: أي حسان الأعين، ومن محاسن المرأة اتساع عينها في طول، وضيق العين في المرأة من العيوب، وإنما يستحب الضيق منها في أربعة مواضع: وجهها، وصدرها، وكاهلها؛ وهو: ما بين كتفيها، وجبهتها، ويستحسن البياض منها في أربعة مواضع: لونها، وفرقها، وثغرها، وبياض عينها، ويستحب السواد منها في أربعة مواضع: عينها، وحاجبها، وبنانها، ويستحب القصر منها في أربعة ـ وهي معنوية ـ: لسانها، ويدها، ورجلها، وعينها؛ فتكون قاصرة الطرف، قصيرة الرجل واللسان عن الخروج وكثرة الكلام، قصيرة اليد عن تناول ما يكره الزوج وعن بَذْلِهِ ـ **قلت**: قاصرة الطرف عن فضول النظر ومُحرمه ـ، ويستحب الرقة منها في أربعة: خصرها، وفرقها، وحاجبها، وأنفها».

---

(١) الرحمن: ٥٦ ـ ٥٨، ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾: قال أبو عبيدة: لم يمسهن.

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ ﴾[١].

«الأتراب: جمع ترب؛ وهو: لذة الإنسان، وقال أبو عبيدة وأبو إسحاق: أسنانهن واحدة. قال ابن عباس وسائر المفسرين: مستويات على سن واحد وميلاد واحد... والمعنى في الإخبار باستواء أسنانهن: أنهن ليس فيهن عجائز قد فات حسنهن، ولا ولائد لا يطقن الوطء...»[٢].

قال ابن القيم: «﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ قال المفسرون: لم يطأهن ولم يغشهن ولم يجامعهن...».

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾ المقصورات: المحبوسات.

قال مقاتل: وفيه معنى آخر: وهو أن يكون المراد أنهن محبوسات على أزواجهن لا يرون غيرهم وهم في الخيام»[٣].

وقال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾

قيل: رقتهن كرقة الجلد الذي رأيته في داخل البيض مما يلي القشر[٤].

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾.

قال ابن القيم: «وقال ابن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «**يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ فِي خَدِّهَا أَصْفَى مِنَ الْمِرْآةِ، وَإِنَّ أَدْنَى لُؤْلُؤَةٍ عَلَيْهَا لَتُضِيءُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ ثَوْبًا يَنْفُذُهَا بَصَرُهُ حَتَّى يَرَى مُخَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ**»[٥].

---

(١) سورة (ص) الآية: (٥٢).
(٢) حادي الأرواح ص١٩٦.
(٣) نفس المصدر ص١٩٨.
(٤) نفس المصدر ص٢٠٢.
(٥) نفس المصدر ص٢٠٣.

❑ مُلْكُ أهل الجنة:

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾

«قال ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ قال: عظيمًا».

«قال ابن أبي الدنيا حدثنا صالح بن مالك حدثنا صالح المري حدثنا يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك يرفعه: إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم»[١].

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلْ الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ. فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ. فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ. فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ. فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ**»[٢].

قال ـ تعالى ـ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[٣]

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ ﷻ**: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾»[٤].

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَقَيْدُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**»[٥].

---

(١) حادي الأرواح ٢٣٩.

(٢) مسلم (١٨٩).

(٣) السجدة: ١٦، ١٧.

(٤) متفق عليه: البخاري (٤٧٧٩)، ومسلم (٢٨٢٤) واللفظ له.

(٥) المسند (٢٧٣٨٤).

وَفِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ ـ وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ** ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾ ـ، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ تَغْرُبُ»[1].

قال ابن القيم ـ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ـ:

«وفي الباب عن أنس بن مالك، وأبي سعيد الخدري، وعبدالله بن عمرو بن العاص: وكيف يُقَدَّرُ قَدْرَ دار غرسها الله بيده وجعلها مقرًا لأحبابه وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه،

ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص، فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن، وإن سألت عن بلاطها فهو المسك الأذفر، وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر، وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب، وإن سألت عن أشجارها فما فيها من شجره إلا وساقها من ذهب وفضة لا من الحطب والخشب، وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل، وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل، وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفًّى، وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون، وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور، وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة في صفاء القوارير، وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام، وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها فإنها تستفز بالطرب لمن يسمعها، وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد السريع في ظلها مئة عام لا يقطعها، وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفي عام، وإن سألت عن خيامها وقبابها فالخيمة الواحدة من دُرَّة مُجوَّفة طولها

(١) رواه البخاري (٣٢٥٣).

ستون ميلًا من تلك الخيام، وإن سألت عن علاليها وجوسقها فهي غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار، وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار، وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب، وإن سألت عن فرشها فبطائنها من إستبرق مفروشة في أعلى الرتب، وإن سألت عن أرائكها فهي الأَسِرَّةُ عليها البشخانات وهي الحجال مزررة بأزرار الذهب فما لها من فروج ولا خلال، وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر، وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبي البشر...»[١].

وقال أيضًا: «وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم فهن الكواعب الأتراب اللاتي جرى في أعضائهن ماء الشباب، فللورد والتفاح ما لبسته الخدود، وللرمان ما تضمنته النهود، وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور، وللرقة واللطافة ما دارت عليه الخصور، تجري الشمس من محاسن وجهها إذا برزت، ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت... يرى وجهه في صحن خدها.. ويرى مخ ساقها من وراء اللحم... لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحًا ... ولأغمضت عن غيرها كل عين، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم ولآمن من على ظهرها بالله الحي القيوم، ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيها، لا تزداد على طول الأحقاب إلا حسنًا وجمالًا، ولا يزداد لها طول المدى إلا محبة ووصالًا، مبرأة من الحبل والولادة والحيض والنفاس، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس، لا يفنى شبابها، ولا تبلى ثيابها... قد قصرت طرفها على زوجها فلا تطمح لأحد سواه، وقصر طرفه عليها فهي غاية أمنيته وهواه، إن نظر إليها سرته، وإن أمرها بطاعته أطاعته، وإن غاب عنها حفظته، فهو معها في غاية الأماني والأمان، هذا ولم يطمثها قبله إنس ولا جان، كلما نظر إليها ملأت قلبه سرورًا، وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤًا منظومًا ومنثورًا، وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نورًا»[٢].

---

(١) حادي الأرواح ٢٤٣ - ٢٤٤.

(٢) نفس المصدر ص٢٤٥.

وقال أيضًا: «هذا وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل... فاستمع يوم ينادي المنادي: يا أهل الجنة إن ربكم - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يستزيدكم فحيَّ على زيارته، فيقولون: سمعًا وطاعة. وينهضون إلى الزيارة مبادرين؛ فإذا بالنجائب قد أعدت لهم، فيستوون على ظهورها مسرعين، حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جُعِلَ لهم موعدًا، وجُمعوا هناك فلم يغادر الداعي منهم أحدًا، أمر الرب - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بكرسيه فنصب هناك، ثم نصبت لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة، وجلس أدناهم - وحاشاهم أن يكون فيهم دنيء - على كثبان المسك، ما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم نادى المنادي: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه. فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا، ويثقل موازيننا، ويدخلنا الجنة، ويزحزحنا على النار؟.

فبينما هم كذلك؛ إذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة، فرفعوا رءوسهم فإذا الجبار - جَلَّ جَلَالُهُ - وتقدست أسماؤه قد أشرف عليهم من فوقهم، وقال: يا أهل الجنة سلام عليكم. فلا تُرَدُّ هذه التحية بأحسن من قولهم: اللّهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام. فيتجلى لهم الرب - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يضحك إليهم، ويقول: يا أهل الجنة. فيكون أول ما يسمعون منه - تَعَالَى -: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني فهذا يوم المزيد. فيجتمعون على كلمة واحدة: أن قد رضينا فارض عنا. فيقول: يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي، هذا يوم المزيد فاسألوني. فيجتمعون على كلمة واحدة: أرنا وجهك ننظر إليه. فيكشف لهم الرب - جَلَّ جَلَالُهُ - الحجب، ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن اللّه - تَعَالَى - قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه - تَعَالَى - محاضرة حتى إنه ليقول: يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا - يذكره ببعض غدراته بالدنيا -؟ فيقول: يا رب ألم تغفر لي؟ فيقول: بلى، بمغفرتي

بلغت منزلتك هذه. فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة، ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم في الدار الآخرة، ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾[(١)]. انتهى[(٢)].

٥ـ الزهد في الدنيا:

قال عبدالله المحاسبي: «من عرف الدنيا قاطعها، ومن لم يعرفها انقطع إليها، ومن عرف الآخرة انقطع إليها، ومن لم يعرفها قاطعها»[(٣)].

لو تحقق للمسلم زهد في الدنيا لأعرض عن التنافس في جمعها. وقد ورد في الكتاب والسنة الحث على الزهد فيها.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾[(٤)]

وقال ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾[(٥)].

وقال ـ جلَّ شأْنُهُ ـ: ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[(٦)].

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ؛ فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا**

---

(١) القيامة: ٢٢ـ ٢٥.

(٢) حادي الأرواح ص٢٤٦ ـ ٢٤٧.

(٣) آداب النفوس.

(٤) الكهف: ٤٥، ٤٦.

(٥) فاطر: ٥.

(٦) العنكبوت: ٦٤. الحيوان: الحياة الخالدة.

وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»[(١)].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ فَقَالَ: **«إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا...»**[(٢)].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»**[(٣)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ»**[(٤)].

ولما كان التنافس في الدنيا ومن أجلها ولجمعها والحرص عليها والرغبة في الاستزادة من حظوظها ناتج عن حب لها، وغفلة عن الآخرة ونعيمها، فقد عُلِمَ أن الزهد في الدنيا مقام شريف، ومعرفة لحقيقتها وتفضيل للآخرة عليها.

وقد عَرَّفَ الإمامُ المقدسي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ الزهدَ فقال: «والزهد عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه».

وقال ـ أيضًا ـ في تحديد مفهوم الزهد: «وشرط المرغوب عنه أن يكون مرغوبًا فيه بوجه من الوجوه، فمن رغب عن شيء ليس مرغوبًا فيه ولا مطلوبًا في نفسه لم يسمَّ زاهدًا، كمن ترك التراب لا يسمى زاهدًا»[(٥)].

ثم قسم الزهد ثلاث درجات: «**الأولى**: من يزهد في الدنيا وهو لها مُشْتَهٍ لكنه يجاهد نفسه، وهذا يسمى المتزهد وهذا بدايته.

---

(١) متفق عليه: البخاري (٤٠١٥)، ومسلم (٢٩٦١).

(٢) متفق عليه: البخاري (١٤٦٥)، ومسلم (١٠٥٢)، واللفظ له.

(٣) رواه مسلم (٢٧٤٢).

(٤) رواه البخاري (٢٨٨٧).

(٥) مختصر منهاج القاصدين كتاب الزهد والفقر صـ٣٢٩ط المكتبة العصرية

الثانية: أن يزهد فيها لكنه يرى زهده ويلتفت إليه فيكاد يعجب بنفسه، وهذا فيه نقص.

الثالثة: وهي العليا أن يزهد في الدنيا ويزهد في زهده، فلا يرى أنه ترك شيئًا، وهذا هو الكمال في الزهد».

ثم قال: «إن الزهد يكون للرغبة في الثواب، ويكون الزهد للنجاة من العذاب، ويكون لطلب لقاء اللَّه ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ، وهو أعلاها»(١).

ولا يتحقق للمرء الزهد في الدنيا والفكاك من أسرها إلا بمعرفة حقيقتها التي بيّنها رسول اللَّه ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم عن جابر ﷺ:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ؛ فَتَنَاوَلَهُ، فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: **«أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟!»** فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟! قَالَ: **«أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟!»** قَالُوا: وَاللَّهِ، لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ؛ لِأَنَّهُ أَسَكُّ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟! فَقَالَ: **«فَوَاللَّهِ، لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»**(٢).

كَنَفَتَهُ: جانبه. أَسَكُّ: صغير الأذن.

عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **«لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»**(٣).

وقد كان بعض السلف يقول: الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن، والرغبة فيها تكثر الهم والحزن.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **«مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ**

---

(١) مختصر منهاج القاصدين بتصرف صـ٣٣٠، ٣٣١.

(٢) رواه مسلم (٢٩٥٧).

(٣) رواه الترمذي، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. (٢٣٢٠) وهو في الصحيحة (٩٤٠).

وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»(١).

وَقَدْ وَرَدَ فِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَه بِسَنَدٍ جَيِّدٍ قَوْلُهُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: **«مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ»**(٢).

وقد ذكر ابن قدامة ضروريات الحياة التي ينبغي أن يزهد فيها المتزهد؛ وهي: المطعم، والملبس، والمسكن وأثاثه، والمنكح، والمال، والجاه.

ففي المطعم: يقتصر على ما يصلح به بدنه.

والملبس: يقتصر فيه الزاهد على ما يدفع الحرَّ والبرد ويستر العورة.

وفي المسكن: من أعلى درجاتِ الزهد ألا يطلب موضعًا خاصًّا لنفسه، بل يقنع بزوايا المساجد، وأوسطها أن يطلب موضعًا خاصًّا لنفسه مثل كوخ من سعف وغيره، وأدناها أن يطلب حجرة مبنية، ومتى طلب السَّعَةَ وَعُلُوَّ السَّقْفِ فقد جاوز حَدَّ الزُّهد.

وأما أثاث البيت: فينبغي للزاهد أن يقتصر فيه على الخزف، ويستعمل الإناء الواحد فيأكل في القصعة ويشرب فيها، ومن خرج إلى كثرة العدد أو نفاسة الجنس خرج عن الزهد.

وفي المنكح: فلا معنى للزهد في أصل النكاح ولا في كثرته.

وفي المال: فالزاهد يقتصر منه على ما يدفع به الوقت، وكان من الصالحين من يتشاغل بالتجارة ويقصد بها العفاف.

وأما الجاه: فلا بد للإنسان من جاه حتى في قلب خادمه، واشتغال الزاهد بالزهد يمهد له الجاه في القلوب، فينبغي أن يُتحرَّز من شر ذلك.

ومن علامات الزهد: ألا يفرح بموجود، ولا يحزن على مفقود: وهذا زهد في المال، وأن يستوي عنده ذَامُّهُ وَمَادِحُهُ: وهذا في الجاه، وأن يكون أُنْسُهُ باللَّه وَالْغَالِبُ على قلبه حلاوةَ

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٦٥)، وهو في السلسلة الصحيحة (٩٤٩-٩٥٠)

(٢) ابن ماجه (٤١٠٥)، وَصَحَّحَهُ العلامة الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم (٩٥٠).

الطاعة، ولا يتم الزهد إلا بالتوكل(١).

ولا شك أن تربية الطفل على الاعتدال بين الخشونة والنعومة يجنبه الرِّقة، والنعومة المذمومة، والدلال المقيت، ويبني شخصيته على الرجولة والرزانة والجلَد، فإذا أتت الرياح بما لا تشتهي السفن وجدناه جبلًا راسخًا لا يهتز؛ فيواجه رَغَدَ العيش بحسن التصريف للنعم في طاعة اللَّه، ويشكرها، ويعرف قدرها، ويواجه ضيق العيش بالتجفاف والرضا والقناعة.

التجفاف: شيء يلبسه الفرس ليتقي به من الأذى، وقد يلبسه الإنسان.

٦- مصاحبة أهل الآخرة ومطالعة أخبارهم:

إن مصاحبة الصالحين فلاحٌ في الدنيا والآخرة، ومطالعة أخبارهم شَحْذٌ للّهمة، ودَفْعَةٌ للإقبال على الآخرة، وإعانةٌ على الزهد في الدنيا، وتحفيزٌ لترك التنافس في جمعها، وصيانةٌ للقلب من التعلق بحطامها، وحفظٌ له من الاستئناس بحظوظها، وسموٌّ بالنفس من التعلق بمتاعها، ووقايةٌ من السعي الحثيث في طلبها.

ولا شك أن الصداقة تؤثر على المرء في سلوكه وطباعه ومظهره فإن، كثرة الخلطة تدمج السجايا، ودوام المعاملة تقرب الفهوم وتسبب المحاكاة في السلوك والمظهر والطباع؛ لأن النظائر والأشباه يتآلفون وتقترب طباعهم؛ لأن الأرواح جنود مجنده ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، وإن اختلفت الطباع وتناكر السلوك فإن الصداقة لا تدوم، وَقَدْ قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «**الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ**»(٢).

ولذلك فإن مصاحبة الأخيار نفع عظيم في الدنيا والآخرة، فهم يذكرونك بالآخرة وينصحونك إذا احْتَجْتَ النصح، ويصدقون فلا يكذِبُونك، وتأمن جانبَهم فلا يخدعونك، ولا تمل مجالستهم، يأخذون بيدك إذا تعثرت، ويفرحون لك إذا تقدمت، مجالسهم لا تخلو من ذكر اللَّه والدار الآخرة.

---

(١) مختصر منهج القاصدين بتصرف فصل فيما هو من ضروريات الحياة ص٣٣٤ - ٣٣٥.
(٢) السلسلة الصحيحة (٩٢٧).

قال ابن قدامة: يشترط فيمن تؤثر صحبته خمس خصال:

١ - **أن يكون عاقلًا**: فلا خير في صحبة الأحمق؛ لأنه يريد أن ينفعك فيضرك.

٢ - **أن يكون حسن الخلق**: إذ رُبَّ عاقل يغلبه غضب أو شهوة فيطيع هواه، فلا خير في صحبته.

٣ - **ألا يكون فاسقًا**: لأنه لا يخاف اللَّه، ومن لا يخاف اللَّه لا تؤمن غالته، ولا يؤثق به.

٤ - **ألا يكون مبتدعًا**: فيخاف من صحبته بسراية بدعته.

٥ - **ألا يكون حريصًا على الدنيا.**

قلت: لأنه لا يمل الحديث عنها، ويتملكه الشوق إلى جمعها فينقل عَدْوَاهُ إليك.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «عليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم، فإنهم زينةٌ في الرخاء، وعدةٌ في البلاء... واستشر في أمرك الذين يخشون اللَّه»[(١)].

قال صاحب «علو الهمة» - حَفِظَهُ اللَّهُ -:

«فالطيور على أشكالها تقع، وكل قرين بالمقارن يقتدي، وإن العبد يستمد من لحظ الصالحين قبل لفظهم؛ لأن رؤيتهم تذكره باللَّه عز وجل.

وكان الإمام أحمد إذا بلغه عن شخص صلاح، أو زهد، أو قيام بحق، أو اتباع للأمر، سأل عنه وأحب أن يجري بينه وبينه معرفة، وأحب أن يعرف أحواله.

وقال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: ما أُعطي عبد بعد الإسلام خيرًا من أخ صالح، فإذا رأى أحدكم وُدًّا من أخيه فليتمسك به.

وقال الحسن البصري: إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا؛ لأن أهلنا يذكروننا بالدنيا وإخواننا يذكروننا بالآخرة.

فالحريص الموفق الذي يروم المعالي لا تراه إلا مع أهل العلم العاملين، وأولي الفضل والمجاهدة والحكمة والبصيرة، ليرشح عليه ما هم فيه أو بعضه فيكون مثلَهم أو قريبًا منهم»

(١) مختصر منهاج القاصدين كتاب آداب الصحبة والأخوة صـ١٠٢-١٠٣ط المكتبة العصرية.

«علو الهمة، للشيخ محمد بن إسماعيل المقدم ـ يَحْفَظُهُ اللَّهُ»[(١)].

وقال بعضهم:

أحب الصالحين ولست منهم   لعلي أن ألقى بهم شفاعة

وقال آخر:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبه بالكرام فلاح

قال الشيخ إبراهيم الحمد ـ حَفِظَهُ اللَّهُ ـ:

«فالمرء مولع بمحاكاة من حوله، شديد التأثر بمن يصاحبه، والصداقة الشريفة تشبه سائر الفضائل من حيث رسوخها في النفس وإيتاؤها ثمارًا طيبة في كل حين، فهي توجد من الجبان شجاعةً ومن البخيل سخاءً.

يُرْوَى أن الأحنف بن قيس قال: كنا نختلف إلى قيس بن عاصم نتعلم منه الْحِلْمَ كما نتعلم منه الفقه»[(٢)].

٧ـ استحضار أضرار التنافس المذموم بصورة مستمرة:

❑ **ومن هذه الأضرار المترتبة على تنافس الدنيا:**

١ ـ الهم الدائم، وانشغال الفكر وضيق الصدر: بسبب الخوف من نقص ما جمع، أو ضياعه، أو تلفه من جانب، والحرص على اقتناء المزيد من حظوظ الدنيا من وجه آخر، فلا استقرار نفس حَصَّل، ولا بسعادة شَعَر؛ فتنقلب الحياة غمًّا ويتكدر الصفو.

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[(٣)].

٢ ـ هجر الآخرة تفكيرًا وعملًا واستعدادًا: فتسقط من اعتباره فلا يفكر فيها؛ لأن فِكْرَهُ مشغولٌ بما حَصَّلَ من الدنيا، وبطرق حفظه وتنميته، فهو لا يعمل للآخرة بسبب ضيق الوقت، بل عدم كفايته لأداء مهام الدنيا ووظائفها، وقد يقتطع من وقت نومه وراحته، بل

(١) بتصرف من كتاب: علو الهمة للشيخ/ محمد المقدم ص: ٣٥٢ـ٣٥٥، ط: دار طيبة.

(٢) طه: ١٢٤.

(٣) رسائل في الأخلاق والتربية والسلوك، للشيخ إبراهيم الحمد صـ٥٣٥ ـ ٥٣٦ط. دار ابن خزيمة.

منهم من لا يعرف للنوم طريقًا إلا بقهر الحبوب المنوِّمة.

وكذلك لا يستعد للآخرة بسبب ضيق الوقت، وانشغال الفكر، وغياب الاهتمام بها، وعدم الإقبال عليها، ومنهم من يطردها خارج دائرة التفكير، ويهرب ممن يذكره بها، ويعاديه حتى يجنب نفسه آلام ووخز الضمير - إن بقي منه شَيءٌ -؛ وذلك لأنه قد عَمَّرَ دنياه وَخَرَّبَ آخرته؛ فيكره مَنْ يذكره بما اخترب.

٣ - **ابتلاء المتنافس على الدنيا بأمراض القلوب**: مثل الحرص، والحسد، والطمع، مما ينعكس على سلوكه وتعاملاته مع نفسه بالبخل والتقتير، ومع غيره بالرغبة الملحة في الاستغلال والانتفاع منه - بسبب النظرات المادية للأمور -، فلا يصاحب إلا ذا نفع دنيويٍّ ماديٍّ، ولا يحترم إلا ذا سلطانٍ أو مال؛ فينفض من حوله الناصحين الطيبين، ويندر في معارفه الصديق الوفيُّ؛ فيرتاب فيمن حضر، ويحذر ممن أقبل، وهذا يؤدي به إلى فقد الاطمئنان والاستقرار والاتزان في السلوك مع كثير من الناس.

٤ - **كثرة أعداء المتنافس والمتربصين به والحاقدين عليه**: بسبب النزاعات من أجل الدنيا والخصومات في جمعها، وفساد علاقته بالناس، فيتبعها فساد علاقته بربه - جَلَّ وَعَلَا - الذي يحرمه التوفيق، فإن سهل له المكاسب الدنيوية كان استدراجًا له، ولمن هذا حاله بلا ريب.

ومن أراد اللَّه به خيرًا منهم عجل له العقوبة في الدنيا.

٥ - **حتمية العقاب في الدنيا كان أو في الآخرة أو فيهما معًا**: لقوله - تَعَالَى -: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

٦ - **طول الحساب يوم العرض عن ماله**: الذي اكتسبه كله، بينما لن ينتفع منه إلا بما أنفق في وجوه الخير، والباقي للورثة هم به يتمتعون، والجامع له مغبون، وهو عنه مسئول، فمعاقب أو متروك بعد شدة وتمحيص وتدقيق وتهويل من ربٍّ قويٍّ عزيز عليم، تُصْعَقُ الخلائقُ بَعْدَ النشور عند مجيئه لِفَصْلِ القضاءِ صَعْقَةَ فَزَعٍ ذَاقَهَا موسى عليه السلام يَوْمَ الطُّور، قال - تَعَالَى -: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾.

فهل يتجاسر على التنافس من تنتظره تلك الأهوال وطول المقام، ودقة السؤال؟!

المراجع

١ـ مختصر صحيح البخاري.
الإمام زين الدين أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي، دار المؤيد الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

٢ـ مختصر صحيح مسلم.
الإمام الحافظ أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار المؤيد الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

٣ـ سنن الترمذي.
حكم وتعليق العلامة/ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف الرياض ـ السعودية.

٤ـ سنن أبي داود.
حكم وتعليق العلامة/ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف الرياض ـ السعودية.

٥ـ سنن النسائي.
حكم وتعليق العلامة/ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف الرياض ـ السعودية.

٦ـ سنن ابن ماجة.
حكم وتعليق العلامة/ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف الرياض ـ السعودية.

٧ـ مكارم الأخلاق.
شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية، المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت.

٨ـ تهذيب مدارج السالكين.
الإمام شمس الدين أبي عبد اللّٰه بن قيم الجوزية هذبه عبد المنعم صالح العلي العزي، مؤسسة الرسالة.

٩ـ **مفتاح دار السعادة.**
الإمام شمس الدين أبي عبد الله بن قيم الجوزية، المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت.

١٠ـ **الروح.**
الإمام شمس الدين أبي عبد الله بن قيم الجوزية، المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت.

١١ـ **الفوائد.**
الإمام شمس الدين أبي عبد الله بن قيم الجوزية، دار ابن رجب المنصورة ـ مصر.

١٢ـ **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح.**
الإمام شمس الدين أبي عبد الله بن قيم الجوزية، المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت.

١٣ـ **تلبيس أبليس.**
الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت.

١٤ـ **مختصر منهاج القاصدين.**
الإمام أحمد بن قدامة المقدسي، المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت.

١٥ـ **علو الهمة.**
الشيخ/ محمد بن أحمد إسماعيل المقدم، دار طيبة الخضراء ـ مكة المكرمة.

١٦ـ **صلاح الأمة في علو الهمة.**
الدكتور/ سيد بن حسين العفاني، مؤسسة الرسالة بيروت ـ لبنان.

١٧ـ **مشكلة السَّرف في المجتمع المسلم وعلاجها في ضوء الإسلام.**
الدكتور/ عبد الله إبراهيم الطريقي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

١٨ـ **الترف وأثره في الدعاة والصالحين.**
الدكتور/ محمد موسى الشريف، دار الأندلس الخضراء جدة ـ السعودية.

١٩- رسائل في الأخلاق والتربية والسلوك.

الشيخ/ محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة الرياض ـ السعودية.

٢٠- نفائس الحُلّة في التآخي والخُلّة.

عدنان سالم الرومي و علي صالح الهزاع، دار الوطن الرياض ـ السعودية.

٢١- من أخطاء المربين.

أبو ميسرة محمد بن مصطفى الديب، دار بن مسعود الإسكندرية ـ مصر.

٢٢- سيكلوجية الطفولة والشخصية.

ترجمة د/ أحمد عبد العزيز سلامة ود/ جابر عبد الحميد جابر، دار النهضة العربية القاهرة ـ مصر.



الفهرس

* * *

تم الجمع والصف بمكتب الرضا للدعاية والإعلان
عمارة الهدى ـ ١٥ ش امتداد رمسيس بجوار نقابة التجاريين ـ مدينة نصر
☎ : ٠٢٣٤٢٨٨٢٩، (٠٨٢) ٢٣٢٠٢٥٤، محمول: ٠١٠١٤٦٠٨٦١



التربية على التنافس المذموم

الناشر
دار الرضا
عمارة الهدى ١٥ ش امتداد رمسيس
بجوار وزارة المالية - عمارات صف الضباط
ت: ٣٤٢٨٨٢٩ - ٠١٠١٤٦٠٨٦١